

أحسن القصص

(١٤٢ قصة قرآنية)

الكتاب: أحسن القصص (١٤٢ قصة قرآنية)
إعداد ونشر: جمعية القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد
ترجمة: الأستاذ أحمد عودة

الطبعة الأولى: ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م
جميع حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على اشرف خلق الله محمد وعلى آله الطاهرين والأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين منذ آدم الى قيام يوم الدين.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا﴾ [يوسف: ١١١].

القصة تعتبر مرآة للإنسان يستطيع من خلالها أن يرى مظهر الإيمان والكفر، والنصر والهزيمة، والهناء والحرمان، والسعادة والشقاء، والعزة والزّلة، بالنتيجة كل ما له قيمة في حياة البشر وما ليس له قيمة، فهي تعرض كلّ تجارب المجتمعات السابقة والرجال العظام، ونشاهد من خلالها ذلك العمر القصير للإنسان، كيف يطول بمقدار عمر كل البشر، ولكن ما اكثر العبر واقل الإعتبار، فأولي الألباب وذوي البصائر فقط باستطاعتهم أن يشاهدوا العبر في صفحة المرأة ويستفيدوا منها.

وعلينا أن نفرّق بين الأساطير - القصص الخيالية
المصنوعة ذات الإثارة في أوساط الأمم - وبين القصص القرآنية
والواقعية، فهي إخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات
السابقة، والحوادث الواقعية، وهي ثلاثة أنواع:

- ١ - قصص الأنبياء.
- ٢ - قصص تتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم،
كقصة طالوت، وابني آدم ...
- ٣ - قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول
الله ﷺ، كغزوة بدر وأحد...
وللقصة فوائد عدّة منها:
 - أ - إيضاح أسس الدعوة إلى الله تعالى.
 - ب - تثبيت قلب الرسول ﷺ والأمة على دين الله سبحانه
وتعالى، وتقوية ثقة المؤمنين بنصره.
 - ج - تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكراهم.
 - د - اظهار صدق النبي محمد ﷺ في دعوته.
 - هـ - مقارنته أهل الكتاب بالحجّة فيما كتموه من البيّنات
والهدى.
 - و - أخذ العبرة.

بالنهاية فوائد القصص القرآنية كثيرة، وهي حقيقية لا خيالية، ولها أثر في التربية والتهذيب، وتنفذ إلى النفس بسهولة ويسر، ولا يملّ السامع منها أبداً، وهذه الخطوة الأولى نحو التعرف على مفاهيم القرآن وتعاليمه وقيمه ومبادئه وتشريعاته وحكمه واهدافه وأسلوبه للتدبر والعمل به. يقول الإمام الخامنئي (ره ظله): «الخطوة الأولى للعمل الكامل بالقرآن هو التعرف على مضمونه».

ونحن في جمعية القرآن الكريم قمنا بتنظيم وتنقيح ومتابعة هذا الكتاب (أحسن القصص) ليكون في خدمة اجيالنا ومجتمعنا، سائلين المولى سبحانه لنا ولهم الاستفادة بالتدبر والعمل.

والحمد لله ربّ العالمين

جمعية القرآن الكريم
للتوجيه والإرشاد



(١)

فراشة العشق

على مر العصور هناك شخصيات حفرت أسماؤها على صفحات التاريخ، وخلّدها الدهر فهي مضيئة تتلألأ على جبهة الزمان. لقد خلّد التاريخ أسماء أولئك المضحين الذين قدّموا أرواحهم في سبيل حفظ الإيمان، فتلقوا سهام البلاء والعذاب بكل عشق ومحبة، وأقبلوا إلى حبال المشانق وحدّ السيوف وهم يقبلونها فرحين مسرورين، واحترقوا بنار العذاب مثل الفراشات، فسطعت أسماؤهم كأنها الكواكب الدرّية.

من بين هؤلاء الأشخاص (آسية) زوجة فرعون التي تحمّلت أنواع العذاب وتجرّعت كأس البلاء، كل ذلك في سبيل الإيمان، الإيمان بموسى ورب موسى وعقيدة موسى ﷺ.

في حديث عن أمير المؤمنين علي ﷺ، أنّه أرسل إلى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الأخدود فأخبره بشيء، فقال ﷺ: «ليس كما ذكرت، ولكن سأخبرك عنهم، إنّ الله

بعث رجلاً حبشياً نبياً، وهم حبشة، فكذبوه، فقاتلهم فقتلوا أصحابه، وأسروه وأسروا أصحابه، ثم بنوا له حراً (شبه الحظيرة)، ثم ملؤوه ناراً، ثم جمعوا الناس فقالوا: من كان على ديننا وأمرنا فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه، فجعل أصحابه يتهافتون في النار، فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت هابت ورقت على ابنها، فنادها الصبي: لا تهابي وارميني ونفسك في النار، فإن هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار وصبيها، وكان ممن تكلم في المهدي^(١).

والله تعالى يشير إلى قضيتهم في القرآن الكريم، يقول تعالى في شأن أولئك الظلمة المستكبرين: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَعْدُوِّ﴾^(٢).

لقد وضع المؤمنون في ذلك العصر بين خيار الإيمان والموت من جهة، أو الحياة والكفر من جهة ثانية، فكان الموت عندهم أحلى من العسل لأنه في سبيل الإيمان. نعم إن المؤمن ليبذل روحه في سبيل الحبيب الأزلي وهو جذلان،

(١) - تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي، تحقيق وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي ط ٤، مؤسسه اسماعيليان، ١٤١٢هـ. قم، ج ٥، ص ٥٤٧.

(٢) - سورة البروج، الآية: ٤.

كيف لا وأرواح الجميع منه ابتدأت وإليه تنتهي، أليس وجودنا ملك له، أليس كل الوجود منه وإليه، ألا يلهج لساننا بذكره في ركوعنا وسجودنا قائلاً: إلهنا نحن نعبدك وحدك لا نشرك بك أحداً، وهذا الميثاق في أعناقنا لا نحيد عنه ولو فصلت رؤوسنا عن أجسادنا.

إنَّ العاشق الحقيقي يمنح كل وجوده للمعشوق، وهذه المرأة وطفلها قد تجسدا في أجمل صورة للإيثار والتضحية، ومنحا روحيهما في سبيل الإيمان، «إن هذا والله في الله قليل».

بهذه الصرخة من طفل رضيع، كأنه بصوته البريء يواسي أمه ويلاطفها ويقول لها أنا غلامك، لا تخافي، إن حضن محبتي فاتح ذراعيه ليضمك، وهور العين في الجنة بانتظارك لتؤنسك وتواسيك. فما كان من الأم إلا أن ضمت ولدها بين ذراعيها وحضنته إلى صدرها، فأغمضت جفنها، ورمت بنفسها وطفلها في النار، وهي هادئة مطمئنة وكأنها فراشة تحترق في العشق في سبيل الإيمان.



(٢)

محبة الله أكبر من محبة الأم

عندما علم فرعون أن طفلاً سيولد من بني إسرائيل، ويكون هلاك فرعون ومملكته وأتباعه على يديه، عمد إلى فصل الرجال من بني إسرائيل عن نساءهم، ووضع لكل امرأة منهم امرأة قبطية تراقبها لكي يتمكن من قتل كل مولود يأتي إلى الدنيا، وبذلك يحمي ملكه من الدمار والهلاك.

يقول الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ موسى لما حملت به أمه، لم يظهر حملها إلّا عند وضعها له، وكان فرعون قد وكل بنساء بني إسرائيل نساء من القبط يحفظنهن وذلك أنه كان لما بلغه عن بني إسرائيل أنهم يقولون: أنه يولد فينا رجل يقال له: موسى بن عمران، يكون هلاك فرعون وأصحابه على يده، فقال فرعون عند ذلك: لأقتلن ذكور أولادهم حتى لا يكون ما يريدون، وفرّق بين الرجال والنساء وحبس الرجال في المحابس، فلما وضعت أم موسى بموسى عليه السلام نظرت إليه

وحزنت عليه واغتمت وبكت، وقالت: تذبح الساعة، فعطف الله بقلب الموكلة بها عليه، فقالت لأم موسى: ما لك قد اصفرّ لونك؟ فقالت: أخاف أن يذبح ولدي، فقالت: لا تخافي وكان موسى لا يراه أحدٌ إلا أحبه، وهو قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾^(١) فأحبهته القبطية الموكلة به^(٢).

والحقيقة أن الله تعالى منذ البداية قدر أن نجاة المستضعفين والمظلومين سوف يكون على يد طفل من نسل يعقوب عليه السلام، وذلك بهلاك فرعون وسلب الحكم منه، لكن ما يلفت الانتباه أن هذا الطفل سوف يتربى في حضن طاغية جبار، مثل زهرة تنبت بين حقل من الأشواك^(٣).



(١) - سورة طه، الآية: ٣٩.

(٢) - نور الثقلين، مصدر سابق، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٣) - يمكن الرجوع إلى التاريخ لمعرفة كامل القصة، راجع: قصص الأنبياء، وتاريخ يعقوبي وغيرهم من الكتب.

(٣)

حكمة لقمان

من يكن في الدنيا ذليلاً وفي الآخرة شريفاً، خير من أن يكون في الدنيا شريفاً، وفي الآخرة ذليلاً.

ينقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حقاً أقول: لم يكن لقمان نبياً».

عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يكن لقمان نبياً، ولكن كان عبداً كثير التفكير، حسن اليقين، أحب الله فأحبه، ومنّ عليه بالحكمة، كان نائماً نصف النهار، إذ جاءه نداء: يا لقمان! هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض، تحكم بين الناس بالحق؟. فأجاب الصوت: إن خيرني ربي قبلت العافية، ولم أقبل البلاء، وإن عزم علي فسمعا وطاعة، فإني أعلم أنه إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني. فقالت الملائكة بصوت لا يراهم. لم يا لقمان؟ قال: لأن الحكم أشد المنازل وأكثرها، يغشاها الظلم من كل مكان، إن

وفي فبالحري أن ينجو، وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة. ومن يكن في الدنيا ذليلاً، وفي الآخرة شريفاً، خير من أن يكون في الدنيا شريفاً، وفي الآخرة ذليلاً. ومن يختر الدنيا على الآخرة، تفته الدنيا، ولا يصيب الآخرة. فتعجبت الملائكة من حسن منطقته، فنام نومة فأعطي الحكمة، فانتبه يتكلم بها. ثم كان يؤازر داود بحكمته»، فقال له داود **ﷺ**: طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى. **﴿أَنْ أَشْكُرَ لِلَّهِ﴾** معناه. وقلنا له اشكر الله تعالى على ما أعطاك من الحكمة **﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾** أي: من يشكر نعمة الله، ونعمة من أنعم عليه، فإنه إنما يشكر لنفسه لأنَّ ثواب شكره عائد عليه، ويستحق مزيد النعمة، والزيادة^(١).

يقول تعالى في محكم كتابه العزيز: **﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾**^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ج٨، ص ٨٠.
 (٢) - سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٤)

نعمة الأخوة

قبل الإسلام كان بين الأوس والخزرج حروباً تطاولت لأكثر من مائة وعشرين سنة، وكانت الأحقاد بين القبيلتين تتناقل من جيل إلى جيل ومن نسل إلى نسل، فقد كانوا يتقاتلون ليلهم ونهارهم وكانت الحروب فيما بينهم لا تهدأ، حتى بعث الله تعالى رسوله محمد ﷺ فدخلوا في الإسلام وألّف الله بين قلوبهم فزالت تلك الأحقاد، وحلّ مكانها الصلح والوئام، وأصبحوا بعد العداوة أخوة ببركة الدين الجديد الإسلام، يقول تعالى: ﴿...وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾^(١).

وكان في اليهود رجل يدعى شماس بن قيس، وهو شيخ عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين، مرّ على نفر من الأوس والخزرج وكانوا معاً في مجلس، فلما رأى من الفتنهم

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

ومحبتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية، إمتلاً غيظاً وحقداً، ولم يستطع رؤية الألفة والمحبة بينهم، فدعا شاباً من اليهود أن يجلس بينهم ويذكرهم بما كان بينهم من الحرب في يوم (بعث) وما تقولوا فيه من الأشعار، ففعل، وتكلم، وذكرهم بما كان بينهم في أيام الجاهلية، فحرّك فيهم العصبية القبلية، فتنازعا وتواثبوا، حتى جرح من كل قبيلة نفر، عندما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ، نهض مع جماعة من المهاجرين حتى جاء مجلسهم، فلما رأوا رسول الله ﷺ هداؤا وندموا على ما صدر من فعلهم، وأدركوا أن نزاعهم من طباع الجاهلية وكيد الشيطان، لذلك وضعوا سيوفهم جانباً وندموا على عملهم^(١) فعانق بعضهم بعضاً ثم انصرفوا، فنزلت الآية الشريفة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا رَبَّكَ مِن الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾^(٢).



(١) - تفسير روح الجنان، ج ٣، ص ١٢٣، كذلك ينظر: عمدة القاري، العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢٤، ص ٧٨.
(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٠٠.

(٥)

وحدك المغيث

يوجد على الدوام في أعماق قلب الإنسان نقطة نورانية، عبارة عن: (نور التوحيد) كامنة فيه، وهي التي توصله إلى عالم ما وراء الطبيعة وتربطه به، وتُعدّ أقرب الطرق لارتباط البشر بالله ﷻ، لكن عندما تلقى الغشاوة على هذا الفؤاد بسبب الآداب والعادات الخرافية، والتلقين الغير صحيح، والتعاليم الخاطئة والغرور ووفور النعمة، فإن الحوادث وطوفان البلاء يمكنه تمزيق هذه الغشاوة فيتجلى النور عندئذٍ ويظهر، ويستيقظ الانسان من غفلته ويتوجه إلى العالم الروحاني، فيرى خالقه في روحه وقلبه.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا رَكَبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُمُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (١).

يروى عن الحسن بن علي بن محمد عليه السلام في قول

(١) - سورة العنكبوت، الآية: ٦٥.

الله ﷻ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقال: هو الله الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه، وتقطع الأسباب من جميع من سواه، تقول: بِسْمِ اللهِ، أي أستعين على أموري كلها بالله، الذي لا تحق العبادة إلا له، والمغيث إذا استغيث، والمجيب إذا دعي، وهو ما قال رجل للصادق ﷺ: يا ابن رسول الله، دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر علي المجادلون وحيروني، فقال له: يا عبد الله، هل ركبت سفينة قط؟ قال: نعم، فقال: هل كسرت بك، حيث لا سفينة تنجيك، ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم، قال الصادق ﷺ: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى، وعلى الإغاثة حيث لا مغيث^(١).



(١) - بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٩٨٣م، ج ٣، ص ٤١.

(٦)

جاذبية القرآن

كان الليل قد انتصف عندما نهض ثلاثة من رؤوس الشرك وكبار المشركين (أبو سفيان وأبو جهل والأخنس)، فخرج كل واحد منهم خفية وقصدوا بيت الرسول الأكرم محمد ﷺ كل على حدى، عندما وصلوا اختار كل واحد منهم مخبأً لنفسه وراحوا يسترقون السمع، فيما كان الرسول ﷺ مشغولاً بالصلاة وتلاوة القرآن، فأخذوا يستمعون إلى آيات القرآن، عندما حلّ الفجر وقصدوا أن يرجعوا إلى بيوتهم، صادف أن رجعوا جميعاً من الطريق ذاته فلقي بعضهم بعضاً، وفضح سرهم، فقالوا لبعضهم: لا يجب أن يتكرر هذا الفعل، فإذا علم أحد الجاهلين أو رأى ما فعلناه فسوف يدخله الشك والتردد.

في الليلة الثانية: كرروا ما فعلوه في الليلة السابقة، وصادف بعضهم بعضاً في طريق العودة، فغضب كل من صاحبه لتكرار هذا العمل، ثم إنهم أكدوا على عدم الخروج.

في الليلة الثالثة: كرروا فعلتهم، والتقى بعضهم بعضاً في الطريق، لكن هذه المرة تعاهدوا وأقسموا أن لا يكرروا الخروج ثم انصرفوا.

في صباح اليوم الثالث: أمسك الأحنس عصاه بيده وخرج قاصداً بيت أبي سفيان، فقال له: أعلمني ماذا رأيت مما سمعته من محمد؟.

فقال أبو سفيان: أقسم بالرب أنني سمعت أشياء ففهمت بعضها ولم أفهم الأخرى.

قال الأحنس: أقسم بما أقسمت به إنني أعتقد ما تعتقد. ثم انصرف الأحنس وذهب إلى أبي جهل وسأله عما يقول فيما سمعه من محمد.

فقال: ماذا سمعت؟! الحقيقة أننا نحن وأبناء عبد مناف نتفاخر بعضنا على بعض ونتنافس في ذلك، فهم يشبعون الجائع، ونحن كذلك، هم يركبون من لا رحل ولا عطية له ونحن نفعل، ينفقون وننفق، وهكذا يرقب بعضنا بعضاً لكن الآن يدعون أن بينهم نبي أرسلته السماء بالوحي، فكيف يمكننا أن نكون رقباءهم في هذه المسألة؟ فإذا كان الحال كذلك فأقسم أنا لن نؤمن به ولن نصدق^(١).

(١) - راجع: سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

نعم، إن جاذبية القرآن الكريم وكلام الحق النوراني يجعل
رؤوس الشرك تنجذب قهراً لثلاث ليالٍ متتالية لاستراق ما يقول
محمد ﷺ. لكن التعصب والأنانية والغرور يعمي العيون ويمنع
القلوب من تقبل الحقيقة والسير في طريق السعادة.



(٧)

الإسلام طيب بلا دواء

حكى أن الرشيد كان له طيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علما علم الأديان وعلم الأبدان، فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وجمع نبينا ﷺ الطب في قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته»، فقال الطبيب: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً^(١).



(١) - مجمع البيان، ج٤، ص ٦٣٨.

(٨)

نجاه المؤمن

يذكر في أمر حزقييل عليه السلام أن قوم فرعون وشوا به إلى فرعون وقالوا: أن حزقييل يدعو إلى مخالفتك ويعين أعداءك على مضادتك، فقال لهم فرعون: ابن عمي، وخليفتي على ملكي، وولي عهدي، إن فعل ما قلتكم فقد استحق العذاب على كفره لنعمتي، وإن كنتم كاذبين فقد استحققتهم أشد العذاب لا لإيثاركم الدخول في مساءته، فجاء بحزقييل وجاء بهم فكاشفوه وقالوا: أنت تجحد ربوبية فرعون الملك وتكفره نعماءه، فقال حزقييل: أيها الملك، هل جربت علي كذبا قط؟ قال: لا، قال: فسلمهم من ربهم؟ قالوا: فرعون. قال: ومن خالقكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال: من رازقكم، الكافل لمعايشكم، والدافع عنكم مكارهكم؟ قالوا: فرعون هذا. قال حزقييل: أيها الملك فأشهدك ومن حضرك أن ربهم هو ربي، وخالقهم هو خالقي، ورازقهم هو رازقي، ومصلح معايشهم هو مصلح معايشي، لا رب لي ولا خالق ولا رازق غير ربهم وخالقهم

ورازقهم، وأشهدك ومن حضرك أن كل رب وخالق ورازق سوى ربهم وخالقهم ورازقهم فأنا بريء منه ومن ربوبيته، وكافر بالهيته. يقول حزقييل هذا وهو يعني أن ربهم هو الله ربي، ولم يقل: إن الذي قالوا هم أنه ربهم هو ربي، وخفي هذا المعنى على فرعون ومن حضره، وتوهموا أنه يقول: فرعون ربي وخالقي ورازقي، فقال لهم فرعون: يا رجال السوء، ويا طلاب الفساد في ملكي، ومريدي الفتنة بيني وبين ابن عمي وعضدي، أنتم المستحقون لعذابي لإرادتكم فساد أمري، وإهلاك ابن عمي، والفت في عضدي. ثم أمر بالأوتاد فجعل في ساق كل واحد منهم وتدا، (وفي عضده وتدا)، وفي صدره وتدا، وأمر أصحاب أمشاط الحديد فشقوا بها لحومهم من أبدانهم، فذلك ما قال الله تعالى: ﴿فَوَقَّهٗ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾^(١) - وكان سبب هلاكهم - لما وشوا به إلى فرعون ليهلكوه ﴿وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ وهم الذين وشوا بحزقييل إليه، لما أوتد فيهم الأوتاد، ومشط عن أبدانهم لحومها بالأمشاط.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عجبت لمن فزع من أربع، كيف لا يفزع إلى أربع؟... إلى قوله: وعجبت لمن مكر

(١) - سورة غافر، الآية: ٤٥.

به، كيف لا يفرع إلى قوله تعالى: ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١) فإني سمعت الله عزّ وجل يقول بعقبها: ﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكْرُوهًا﴾^(٢).



(١) - سورة غافر، الآية: ٤٤.

(٢) - تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٥٢١ - ٥٢٢.

(٩)

دوامة النجاة

عندما فتح الرسول الأكرم ﷺ مكة، عفا عن الجميع ما عدا أربعة، وأصدر أمراً بقتلهم أينما وجدوا، لأنهم لم يرتدعوا عن ارتكاب كل ما يؤذي الإسلام والمسلمين، فارتكبوا الجرائم والجنايات بحق المؤمنين.

من هؤلاء الأربعة رجل يدعى عكرمة بن أبي جهل، فرّ من شدة خوفه وخرج من مكة والتجأ إلى ساحل البحر الأحمر، هناك ركب سفينة وأبحر مع جماعة، في وسط البحر غشيهم موج رهيب وحاط بهم الطوفان من كل جانب، فتمايلت السفينة وبدأت على شفير الغرق، هنالك اجتمع القوم على ظهر السفينة وقرروا رمي جميع ما يحملون من الأصنام، ثم توجهوا إلى المولى ﷺ طالبين منه النجاة، فتمسكوا بأذيال لطفه سبحانه وعلموا أن لا أحد منجيتهم اليوم سواه عز وجل.

قال عكرمة: أن ما لم يستطع أن ينجينا من هذا الطوفان

في البحر، فلن يستطيع أن ينجينا أيضاً في البر، (يعني بذلك الأصنام) ثم إنه عاهد الله ﷻ إذا أنجاه من هذه المهلكة فإنه سيذهب إلى محمد ﷺ ويضع يده بيده ويسلم، لأنه يعلم أن محمداً ﷺ رجل كريم ورحيم.

بعد مدة هدأ الطوفان وانخفض الموج العاتي ونجوا جميعاً من الغرق وذهب عكرمة إلى رسول الله ﷺ وأسلم على يديه^(١).

يقول تعالى في هذا الشأن: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْاَلِينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ﴾^(٢).



(١) - راجع روح المعاني، ج ٢١، ص ١٠٦.
(٢) - سورة لقمان، الآية: ٣٢.

(١٠)

درس في الشهامة

واحدة من الحروب الصعبة والشاقة التي خاضها المسلمون، غزوة تبوك حيث واجه المسلمون مشاكل كثيرة، بحيث «لحق المسلمين فيها من العسرة حتى همّ قوم بالرجوع ثمّ تداركهم لطف الله سبحانه. قال الحسن: كان العسرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثمّ ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والإهالة السنخة^(١) وكان نفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة^(٢).

(١) - كل شيء من الأدهان ممّا يؤتدم به: إهالة. وقيل: هو ما أذيب من الألية والشحم. وقيل: الدّسم الجامد، والسّنيخة: المتغيّرة الريح (النهاية).

(٢) - مجمع البيان، ج ٥، ص ١١٩ - ١٢٠.

يقول عبد الله ابن عباس: كان الطريق شاقاً والسفر مرهقاً، فلا طعام ولا ماء، حتى هبطنا في منزل، وكادت تزهق أرواحنا من شدة الحر والعطش، فوصل الأمر بنا أن نحر أحدنا بعيره واستعان بالماء في داخله. في هذه الحال ذهب الأصحاب إلى رسول الله ﷺ بعد أن نفذ كل شيء منهم وكادوا أن يهلكوا، فقالوا له: يا رسول الله نعلم أن الله لا يرد لك دعاءً، فادعوا الله حتى يفرج عنا ما نحن فيه. فرفع الرسول ﷺ يده نحو السماء ودعا الله سبحانه فنزل المطر بغزارة وجرى سيلاً.

يقول ابن عباس فحملنا الماء وانصرفنا، عندما خرجنا من مكان تعسكرنا وجدنا الأرض جافة قاحلة، فعلمنا أن المطر قد نزل حيث كنا فقط^(١).

وكان أبو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف إلى أن مضى من مسير رسول الله ﷺ عشرة أيام، ثم دخل يوماً على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رتبتاهما وبردتا الماء وهيأتا له الطعام فقام على العريشين وقال: سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر في الفتح والريح والحرّ والقرّ، يحمل سلاحه على عاتقه، وأبو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيب و امرأتين حسناوين ما هذا بالنصف، ثم قال:

(١) - راجع: روح الجنان، ج٦، ص ١٣١.

والله لا أكلم واحدة منكما كلمة ولا أدخل عريشاً حتى ألق الحق بالنبى ﷺ فأناخ ناضحه واشتد عليه وتزود وارتحل وامرأته تكلمانه ولا يكلمهما، ثم سار حتى إذا دنا من تبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق. فقال النبى ﷺ: كن أبا خيثمة أولى لك، فلما دنا قال الناس: هذا أبو خيثمة يا رسول الله، فأناخ راحلته وسلم على رسول الله ﷺ فقال ﷺ: أولى لك فحدثه الحديث، فقال له خيراً ودعا له^(١).

وأبو خيثمة من زمرة مصاديق الآية الشريفة حيث يقول المولى تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).



(١) - مجمع البيان، ج ٥، ص ١٢٠.

(٢) - سورة التوبة، الآية: ١١٧.

(١١)

حكم المقتول

يروى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «أن رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له، ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل ثم جاء يطلب بدمه، فقالوا لموسى عليه السلام: سبط آل فلان قتل فأخبرنا من قتله؟ قال: اتتوني ببقرة **﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**^(١) الآية، ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾**، قال: **﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾**، أي لا صغيرة ولا كبيرة إلى قوله قالوا: الآن جئت بالحق، فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل، فقال: لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهباً، فجاؤوا إلى موسى عليه السلام فقالوا له، قال: فاشتروها، قال: وقال لرسول

(١) - سورة البقرة، الآية: ٦٧.

الله ﷻ بعض أصحابه أنّ هذه البقرة ما شأنها؟ فقال: إنّ فتىً من بني إسرائيل كان باراً بأبيه، وأنّه اشترى سلعة، فجاء إلى أبيه فوجده نائماً والإقليد تحت رأسه فكره أن يوقظه، فترك ذلك واستيقظ أبوه، فأخبره فقال له: أحسنت خذ هذه البقرة فهي لك عوض لما فاتك، قال: فقال رسول الله ﷺ: أنظروا إلى البر ما بلغ بأهله، وقال ابن عباس: كان القتيل شيخاً مثرياً قتله بنو أخيه وألقوه على باب بعض الأسباط، ثم ادّعوا عليهم القتل، فاحتكموا إلى موسى ﷺ فسأل من عنده في ذلك علم؟ فقالوا: أنت نبي الله وأنت أعلم منا، فأوحى الله تعالى إليه أن يأمرهم بذبح بقرة، فأمرهم موسى ﷺ أن يذبحوا بقرة ويضرب القتيل ببعضها فيحيي الله القتيل فيبين من قتله، وقيل قتله ابن عمه استبطاء لموته فقتله ليرثه، وقيل إنّما قتله ليتزوج بنته، وقد خطبها فلم ينعم له، وخطبها غيره من خيار بني إسرائيل فأنعم له، فحسده ابن عمه الذي لم ينعم له، فقعد له فقتله ثمّ حمّله إلى موسى ﷺ، فقال: يا نبي الله هذا ابن عمي قد قتل، فقال موسى ﷺ: من قتله؟ قال: لا أدري، وكان القتل في بني إسرائيل عظيماً فعظم ذلك على موسى ﷺ وهذا هو المروي عن الصادق ﷺ^(١).

(١) - مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧٣.

ولما وجدوا البقرة، جاؤوا إلى موسى عليه السلام وقالوا له ذلك، فقال عليه السلام: اشتروها فاشتروها و جاؤوا بها، فأمر بذبحها ثم أمر أن يضربوا الميت بذنبها، فلما فعلوا ذلك حيي المقتول، وقال: يا رسول الله إن ابن عمي قتلني، دون من ادعى عليه قتلي، فعلموا بذلك قاتله^(١).

والقصة واردة في القرآن الكريم في سورة البقرة، حيث يقول تعالى في ختامها: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّحُوقِ وَرَبِّكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).



(١) - تفسير الميزان، ج ١، ص ٢٠٥.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ٧٣.

(١٢)

البناء الوبال

روي أن رسول الله ﷺ خرج يوماً فرأى قبة مشرفة، فقال: ما هذه؟ قال له أصحابه: هذا لرجل من الأنصار، فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم في الناس، أعرض عنه، وصنع ذلك به مراراً حتى عرف الرجل الغضب والإعراض عنه، فشكا ذلك إلى أصحابه، وقال: والله إنني لأنكر نظر رسول الله ﷺ فرأى قبتك، فقال: لمن هذه؟ فأخبرناه، فرجع إلى قبته فسوّاها بالأرض، فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم ير القبه، فقال: ما فعلت القبّة التي كانت ههنا؟ قالوا: شكّا إلينا صاحبها إعراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: «إنّ لكل بناء يبني وبال على صاحبه يوم القيامة إلّا ما لا بدّ منه»^(١).

وفي موضع في القرآن الكريم، نرى أن المولى ﷺ ينكر

(١) - مجمع البيان، ج ٧، ص ٣١٠.

على لسان النبي هود عليه السلام بناء قومه البيوت المرتفعة والقصور
الفخمة والتجمل في صناعة المنازل، وهذا عمل من يطمع في
الخلود: يقول تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ
مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ (١).



(١) - سورة الشعراء، الآيتان: ١٢٨ - ١٢٩.

(١٣)

تأثير القرآن

كان رسول الله ﷺ يقعد في الحجرة ويقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة وكان شيخاً كبيراً مجرباً من دهاة العرب وكان من المستهزئين برسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا عبد الشمس ما هذا الذي يقول محمد أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال دعوني أسمع كلامه، فدنا من رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدني من شعرك، قال: ما هو شعر، ولكنه كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه ورسله، فقال: أتل علي منه شيئاً، فقرأ عليه رسول الله ﷺ «حم السجدة»، فلما بلغ قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ - يا محمد - يعني قريشاً - ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، قال: فاقشعر الوليد، وقامت كل شعرة على رأسه ولحيته، ومر إلى بيته، ولم يرجع إلى قريش من ذلك، فمشوا إلى أبي جهل، فقالوا: يا أبا الحكم، إنَّ أبا عبد الشمس صبا إلى دين محمد، أما تراه لم يرجع إلينا، فغدا أبو جهل إلى الوليد، فقال له: يا عم، نكست رؤوسنا

وفضحتنا، وأشمت بنا عدونا، وصبوت إلى دين محمد! فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكنني سمعت (منه) كلاما صعبا تتشعر منه الجلود، فقال له أبو جهل: أخطب هو؟ قال: لا، إن الخطب كلام متصل، وهذا كلام منثور، ولا يشبه بعضه بعضا، قال: أفشعر هو؟ قال لا، أما إنني قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورمليها ورجزها وما هو بشعر، قال فما هو؟ قال دعني أفكر فيه. فلما كان من الغد قالوا له: يا أبا عبد شمس، ما تقول فيما قلنا؟ قال: قولوا هو سحر، فإنه أخذ بقلوب الناس، فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ في ذلك ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا﴾ (١)(٢).



(١) - تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، مطبعة النجف، ج ٢، ص ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٢) - سورة المدثر، الآية: ١١.

(١٤)

قضاوة طفل

كان يلعب مع أترابه، ولم يتجاوز السبع سنين، عندما جاء رجلان إلى أبيه داود عليه السلام ليحكم بينهم في قضية.

قال أحدهما: يا نبي الله، إن غنم أخي وقع في زرعي ليلاً فأكلته (ويقال أنه لم يكن زرعاً بل كرم عنب وقد بدت عناقيده)، فاحكم بيننا بالحق.

فحكم النبي داود عليه السلام لصاحب الزرع بأن يأخذ الغنم مقابل ما خسره من الزرع، عندها خرج صاحب الغنم وهو مغموم محزون يبكي لخسارته غنمه، في الطريق صادفه سليمان عليه السلام وكان طفلاً لم يتجاوز السبع سنين، فسأله عن سرّ حزنه وبكائه، فقال: لقد حكم أبوك بكذا وأنا راض لكنني لا أملك بعد الغنم شيئاً لأطعم عيالي.

فقال سليمان عليه السلام: لا تياس وارجع إلى أبي فقل له فليتأمل في حكمه، فعاد الرجل، وقال لداود ما قاله سليمان.

فطلب داوود سليمان عليه السلام وقال له: لِمَ أُرْجَعْتَ الرَّجُلَ؟ فقال سليمان: يا نبي الله أَعِدْ النَّظَرَ فِي الْحُكْمِ وَعَدِّلْهُ. فقال: وكيف ذلك؟ فقال سليمان عليه السلام: «يُدْفَعُ الْكُرْمُ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ فَيَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعودَ كَمَا كَانَ وَيُدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكُرْمِ فَيَصِيبُ مِنْهَا حَتَّى إِذَا عَادَ الْكُرْمُ كَمَا كَانَ يَعودُ إِلَى صَاحِبِهِ وَتَرجِعُ الْأَغْنَامُ إِلَى صَاحِبِهَا»^(١).

يقول تعالى في ذلك: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴿٧٩﴾﴾^(٢).

مسألة: إن ما كان يحكم به داوود عليه السلام لم يكن عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد، وما حكم به سليمان عليه السلام كان بوحي من الله تعالى فنسخ به ما كان يحكم به داوود عليه السلام ﴿وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٣).



(١) - راجع: مجمع البيان، ج٧، ص ٩١.
 (٢) - سورة الأنبياء، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.
 (٣) - مجمع البيان، ج٧، ص ٩١ - ٩٢.

(١٥)

طلب العذاب

لما قضى رسول الله ﷺ مناسكه في آخر حجة له إلى مكة والتي دعيت (حجة الوداع)، وانصرف راجعاً إلى المدينة، ووصل ﷺ ومن كان معه من الحجيج إلى أرض فيها نبع ماء (غدير خم)، هناك نزل الوحي جبرائيل ﷺ على رسول الله ﷺ وأمره من قبل المولى تعالى أن ينصب علي بن أبي طالب ﷺ إماماً للأمة وخليفته من بعده، فأمر الرسول ﷺ أن يجتمع الناس، ثم صلى بهم الظهر، وبعدها قام بهم خطيباً على أفتاب الإبل، وأعلن في جمع يزيد على ١٢٠ ألفاً أن علياً ﷺ أمير المؤمنين ووليهم، وولايته كولاية رسول الله ﷺ، حيث قال ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(١).

ثم راح القوم والصحابة يهنئون أمير المؤمنين ﷺ،

(١) - ذكر الخوارزمي في المناقب، ص ١٣٣، لهذا الحديث أربعاً وأربعين سنداً من كتب أهل السنة.

وانتشر الخبر بين الناس وفي القرى والمدن، ولما وصل الخبر إلى رجل يُدعى (النعمان بن الحارث الفهري) وكان راكباً على ناقته فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنتك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام، فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أو أمر من عند الله؟! فقال (الرسول ﷺ): والله الذي لا إله إلا هو إن هذا من الله، فولى النعمان بن الحارث وهو يقول: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء» فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وأنزل الله تعالى^(١): ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾^(٢).



(١) - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٣٠، روح الجنان، ج ١١، ص ٢٦١.
(٢) - سورة المعارج، الآية: ١.

(١٦)

جذور الحرمان

عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، واستقرّ فيها وجد أن الكثير من الناس فيها (خصوصاً التجار) يُخسرون الميزان عند البيع، حتى أن رجلاً يدعى (أبو جهينة) كان عنده مكيالان (صاعان) واحد كبير وآخر صغير يكيل للناس بهما، فعند الشراء يستخدم الكبير وعند البيع يستعمل الصغير. فنزلت الآية الشريفة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾^(١).

بعد تلاوة هذه الآيات على مسامع أهل المدينة قال الرسول الأكرم ﷺ معقّباً: «خمسٌ بخمس»، فقالوا أيُّ بأيّ، فقال ﷺ:

١ - ما نقض قومٌ العهدَ إلا سلط الله عليهم عدوهم.

(١) - سورة المطففين، الآيات: ١ - ٦.

- ٢ - وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر.
- ٣ - وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت.
- ٤ - وما طففوا الكيل إلا مُنِعوا النبات وأخذوا بالسنين.
- ٥ - وما منعوا الزكاة إلا حُبس عنهم المطر^(١).



(١) - راجع: روح الجنان، مواظب العبدية، ص ١٥٢.

(١٧)

المدد الغيبي

يقول حذيفة اليماني: «في حرب الخندق أخذ الخوف والجوع والتعب منا كل مأخذ ورأينا من الأهوال ما يعلمه الله تعالى. في هذه الأثناء وقع خلاف في معسكر الأعداء بين المشركين واليهود فقال رسول الله ﷺ: «من يذهب إلى معسكر الأعداء ويأتنا بخبرهم، وأنا أضمن له أن يكون معي في الجنة».

يقول حذيفة: فوالله لم ينهض أحد من القوم من شدة الخوف والجوع والتعب، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك، قال لي: يا حذيفة! إذهب إلى معسكر المشركين واتنا بالخبر، لكن إياك أن تقوم بأي عمل حتى ترجع إلينا، ثم إنني نهضت وتوجهت نحو مخيم العدو، وفي هذه الحال هبت عاصفة مجلجلة وعظيمة، بحيث قلعت الخيام ونشرت الأواني وبعثرت مشاعل النار وأطفأت قسماً منها.

عندما اقتربت من معسكرهم سمعت أبا سفيان يقول: يا قريش كل واحد منكم ينضم إلى جماعته الذين يعرفهم، لا يندسّن غريبٌ بينكم، يقول حذيفة عند ذلك: دخلت في جماعة وسألت أحدهم عن اسمه، فقال: أنا فلان، فقلت: ونعم النسب، ولكن أحد لم يسأل عن اسمي.

بعد قليل سمعت أبا سفيان يصرخ ويقول: قسما بالرب لا يمكن البقاء هنا، فقد أضعنا الخيول والإبل، وهؤلاء يهود بني قريضة نكثوا عهدهم وخانونا ولم تبق العاصفة لنا شيئاً ثم تقدم من جواده، وكان موثوق الأرجل، فحلها ونسي رجلاً موثوقة فوقف الحصان على ثلاثة أرجل، لذلك سار وهو مضطرب مختل التوازن.

يقول حذيفة اليماني، في هذه اللحظات وضعت سهما في قوس وصوبته نحو أبي سفيان أريد قتله لكنني تذكرت وصية رسول الله ﷺ حين قال لي لا تقدم على عمل حتى ترجع إلينا، فانصرفت عن قتله. ثم توجهت عائداً إلى الرسول ﷺ وأخبرته بالقصة، فقال ﷺ: «اللهم أنت منزل الكتاب، سريع الحساب، أهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم»^(١).



(١) - راجع: بحار الأنوار، طباعة طهران، ج ٢٠، ص ٢٠٨.

(١٨)

آية الأمل

دخل جماعة من أهل العراق على محمد بن علي ابن الحنفية فقال: «يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله ﷻ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١) وإنا أهل البيت ﷺ نقول: أرجى آية في كتاب الله ﷻ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول: رب رضيت. وعن الصادق ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة ﷺ وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها، فدمعت عينا رسول الله ﷺ لما أبصرها، فقال: يا بنتاه، تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فقد أنزل الله عليّ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾^(٢). ومن رضا

(١) - سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) - سورة الضحى، الآية: ٥.

رسول الله ﷺ أن يدخل أهل بيته الجنة، وقال الصادق عليه السلام :
رضا جدِّي أن لا يبقى في النار موحد^(١).



(١) - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٧٦٥.

(١٩)

شجرة الجنة

يُروى أنّ رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر، فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم فإن وجدها في فيّ (فم) أحدهم أدخل اصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ وأخبره بما يلقي من صاحب النخلة، فقال له النبي ﷺ: اذهب، ولقي رسول الله ﷺ صاحب النخلة، فقال: تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة، فقال له الرجل: إن لي نخلاً كثيراً وما فيه نخلة أعجب إليّ تمرّة منها، قال: ثمّ ذهب الرجل، فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ: يا رسول الله أتعطيني ما أعطيت الرجل نخلة في الجنة إن أنا أخذتها، قال نعم: فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه، فقال له: أشعرت أن محمداً أعطاني بها نخلة في الجنة،

فقلت له: يعجبني تمرتها وإن لي نخلاً كثيراً فما فيه نخلة أعجب إلي تمره منها، فقال له الآخر: أتريد بيعها؟ فقال: لا إلا أن أعطى ما لا أظنه أعطى، قال: فما مُنالك؟ قال: أربعون نخلة، فقال الرجل: جئت بعظيم تطلب بنختك المائثة أربعين نخلة ثم سكت عنه، فقال له: أنا أعطيك أربعين نخلة، فقال له: إشهد إن كنت صادقاً فمرّ عليه أناس فدعاهم، فاشهد له بأربعين نخلة ثم ذهب إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إنّ النخلة قد صارت في ملكي فهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال له: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ السورة، وعن عطاء قال: اسم الرجل أبو الدحداح ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ هو أبو الدحداح ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ وهو صاحب النخلة^(١).



(١) - المصدر نفسه، مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٥٩ - ٧٦٠.

(٢٠)

الأيام الأولى

في الأيام الأولى للإسلام، عندما كان المسلمون يفطرون في شهر رمضان المبارك، كان الأكل محرماً بالليل بعد النوم (بعد العشاء)، وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان، فإذا نام أحدٌ بعد الإفطار واستيقظ بعد العشاء، فلا يحلّ له الأكل والشرب...

ولما كان المسلمون يحفرون الخندق أثناء «معركة الخندق» كان رجل يدعى خوات بن جبير صائماً، فلما عاد إلى منزله وأراد الإفطار، أبطأت عليه زوجته بالطعام، فنام قبل أن يفطر من شدة التعب، فلما انتبه من نومه قال لأهله: قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة، فلما أصبح حضر حفر الخندق، فكان يغمى عليه من شدة الجوع والعطش والتعب، فرآه رسول الله ﷺ وسأله عن حاله، فأخبره بقصته فرق له رسول الله ﷺ^(١)، فنزلت الآية

(١) - تفسير البرهان، ج ١، ص ١٨٦، كذلك راجع، مجمع البيان، ج ١، ص ٥٠٢.

المباركة: ﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ
الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبْشِرُوا بِهَا وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ
فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١).



(١) - سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

(٢١)

العودة إلى الوطن

عندما هاجر الرسول الأكرم ﷺ من مكة إلى المدينة، في الطريق عندما وصل إلى الجحفة، تذكر وطنه مكة، فهاج الشوق في قلبه إلى مسقط رأسه، فنزل جبرائيل عليه السلام وقال له: أتحب أن ترجع إلى موطنك ومسقط رأسك فقال الرسول ﷺ نعم والله، فقال جبرائيل عليه السلام أن المولى يقرؤك السلام ويقول لك: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادِ قُلُوبِ رَبِّكَ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

لقد خرج الرسول ﷺ من مكة يرافقه أحد أصحابه على ناقتين إلى المدينة، لكن عندما تحقق وعد الله ﷻ ورجع إلى مكة فاتحاً، دخلها ومعه عشرة آلاف من الصحابة، من المهاجرين والأنصار من الرجال، وأربع مائة فارس على صهوات جيادهم مجهزين بالعتاد والسلاح، يحيطون به ويمنعونه من الأذى.

(١) - سورة القصص، الآية: ٨٥.

إن وعد الله لعباده المخلصين حق، فالمولى يفي بفضله
وكرمه للمؤمنين ومن أصدق منه قولاً ووفاءً: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ
النَّاسِ يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ﴾^(١).



(١) - سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٢٢)

أسود الصباح

وصل إلى رسول الله ﷺ خبرٌ يقول: أن اثنا عشر ألف فارس اجتمعوا في منطقة تدعى (وادي اليابس)، وقد تعاهدوا بأن لا يرجعوا حتى يقتلوا النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب ؑ، ويشتتوا جموع المسلمين، وذلك في العام الثامن للهجرة.

جمع رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار وأخبرهم بالأمر، فتجهزوا وأعدوا العدة لغزوهم، فدعا الرسول ﷺ (أحد القادة) وأرسله إليهم على رأس جيش من المسلمين، لكنه رجع من دون نتيجة ولم يتوصل مع الأعداء إلى شيء.

في المرة الثانية أمر (قائداً آخرًا) ومعه جماعة للانطلاق إلى ذلك الجيش المعسكر في أرض يابس ومقاتلتهم، فذهب وفاوضهم لكنه رجع من دون نتيجة.

في المرة الثالثة دعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ؑ وأمره بأن يسير إليهم على رأس جيش فيقاتلهم، فانطلق علي بن

أبي طالب عليه السلام إليهم مسرعاً، لكنه قصد طريقاً غير الذي قصده الأول والثاني، وكان يتحرك ليلاً ويسكن نهاراً، حتى حاصرهم فجراً، فعرض عليهم الإسلام، فلم يقبلوا، فهاجمهم قبل أن يستبين نور الصباح، فقتل منهم جماعة عظيمة وأسر نساءهم وأطفالهم وغنم منهم غنائم كبيرة.

في هذه الأثناء، وقبل عودة المجاهدين إلى المدينة نزلت السورة الشريفة على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَالْعَدِيدِ﴾.

في صباح ذلك اليوم تقدّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي صلاة الصبح، فقرأ سورة «العاديات»، بعد الصلاة سأله أصحابه عن هذه السورة، وقالوا له: لم نسمع بها قبلاً، فقال صلى الله عليه وآله وسلم، أجل، لقد انتصر علي عليه السلام وهزم جيش المشركين والأعداء، ولقد نزل جبرائيل عليه السلام ليلة أمس بهذه السورة يبشرني بنصر جيش المسلمين وهزيمة جيش الكفار.

بعد عدة أيام وصل أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى المدينة حاملاً معه بشارات النصر والغنائم والأسرى، فخرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه خارج المدينة لاستقبال الجيش المظفر^(١).

(١) - راجع: تفسير علي بن إبراهيم، وتفسير نمونه، ج ٢٧، ص ٢٤٠.

(٢٣)

عدم المساومة

عندما بُعث النبي الأكرم محمد ﷺ بالرسالة، واجهه المشركون بكل الوسائل ليمنعوه من تبليغ الرسالة، ولم يوفروا جهداً ولا حيلة إلا استخدموها، حتى وصل بهم الأمر أن يساوموه على دينه، فجاء نفر من قريش «الحارث بن قيس السهمي والعاص ابن أبي وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن المطلب بن أسد وأمّية بن خلف قالوا: هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك ونشركك في أمرنا كله، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كُنّا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه، فقال ﷺ: معاذ الله أن أشرك به غيره، قالوا: فاستلم بعض الهتنا نصّدّقك ونعبد إلهك، فقال: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي فنزل ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة،

فعدل رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه المأ من قريش،
فقام على رؤوسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة، فأيسوا
عند ذلك فأذوه وأذوا أصحابه^(١).



(١) - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٨٤٠.

(٢٤)

حرب إعلامية

عندما انتهت معركة أحد، أراد أبو سفيان أن ينصرف ومن معه فصعد تلة وصاح بأعلى صوته: «يا محمد لنا يوم ولكم يوم».

فقال الرسول ﷺ ألا تجيبوه؟، قالوا: «قتلاكم في النار وقتلانا في الجنة».

فقال أبو سفيان: «العزى لنا ولا عزى لكم».

فقال الرسول ﷺ أجيبوه: «الله مولانا ولا مولى لكم».

فقال أبو سفيان: «أعلُّ هبل».

فقال الرسول ﷺ: «الله أعلى وأجل».

ثم لما رأى أبو سفيان أن مبارزته الكلامية لم تثمر هاج قائلاً: «إن موعدكم بدر الصغرى على رأس الحول»^(١).

(١) - راجع: مجمع البيان، ج ٣ - كذلك، اقناع الأسماع، المقرئ، ج ١، ص ١٧١.

ثم طلب أبو سفيان عمر بن الخطاب ليكلمه، فأذن له رسول الله ﷺ: فقال أبو سفيان: أنشدك بدينك، هل قتلنا محمداً؟ فقال عمر: اللهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال أنت عندي أصدق من «ابن قميئة»^(١).

فلما انصرف أبو سفيان ومن معه بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: اخرج في آثار القوم، فانظر ماذا يصنعون، فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنأجزنهم، قال علي عليه السلام: فخرجت في آثارهم فرأيتهم اجتنبوا الخيل وامتطوا الإبل، فعلمت أنهم يقصدون مكة^(٢).



(١) - ابن قميئة هو من ادعى أنه قتل الرسول ﷺ في معركة أحد.
(٢) - سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٩٩ - ١٠٠، وانظر، أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ١، ص ٢٥٨.

(٢٥)

الغدير

عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إبتداء منه: العجب يا أبا حفص لما لقي علي بن أبي طالب، أنه كان له عشرة آلاف شاهد لم يقدر على أخذ حقه، والرجل يأخذ حقه بشاهدين، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج من المدينة حاجا ومعه خمسة آلاف، ورجع من مكة وقد شيعه خمسة آلاف من مكة، فلما انتهى إلى الجحفة نزل جبرائيل عليه السلام بولاية علي عليه السلام، وقد كانت نزلت ولايته بمنى، وامتنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القيام بها لمكان الناس، فقال: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١). فنادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: من أولى بكم من أنفسكم؟ قال: فجهروا فقالوا: الله ورسوله، ثم قال لهم الثانية، فقالوا: الله ورسوله، ثم قال لهم الثالثة،

(١) - سورة المائدة، الآية: ٦٧.

فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: من كنت مولاه
فعلي مولاه، اللهم وال من وواه وعاد من عاداه وانصر من
نصره واخذل من خذله، فإنه مني وأنا منه، وهو مني بمنزلة
هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(١).



(١) - تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، ج١، ص ٣٣٢، كذلك
البرهان، ج١، ص ٤٨٩، كذلك البحار، ج٩، ص ٢٠٧.

(٢٦)

امتنان قريش

كانت أرض مكة وادٍ جديب قاحلة لا ماء فيها ولا زرع، لذلك كانت قريش أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضرع ولا زرع، فكانوا آمنين بالقرب من الحرم لا يهجم عليهم الأعداء ولا يعرض لهم أحد بالسوء إذا خرجوا للتجارة، وكانت لهم رحلتان في كل سنة، رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة، ولولا هاتين الرحلتين لم يمكنهم به مقام ولولا الأرض لم يقدرُوا على التصرف وتسيير رحلاتهم التجارية.

فلما قصد أبرهة (أصحاب الفيل) مكة لهدم الكعبة أهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة. وبذلك هابتهم القبائل واحترمتهم لمجاورتهم الحرم فلم يتعرض أحد لهم ولا لتجارتهم فعاشوا في مكة آمنين مطمئنين من هجوم الأعداء والدول المجاورة. من جهة ثانية فإن الرحلة إلى اليمن والشام قد أتعبت قريشاً فأحسن الله إليهم

ببركة ووجود الرسول محمد ﷺ «النبى القادى» إذ كانت القوافل فى اليمى والشام وأطرافها تقصد الحرم المكى ويأتى الناس ببضاعتهم إلى مكة لتكون فى اختيار قريش، وبذلك عاشت قريش آمنة مطمئنة فى بحبوحة من العيش الكرىم بما سببه لهم المولى تعالى من الأرزاق وأعطاهم الأموال، فلا يتعرض لهم أحد فى سفرهم إذا قالوا نحن أهل حرم الله، ثم آمنهم من الغارة بالحرم الذى جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقولون فى الجاهلية نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم، كل ذلك ببركة حرم الله وبركة رسوله ﷺ، فلم يكن بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش، لذلك أمرهم المولى تعالى فى سورة قريش أن يعبدوه شكراً وامتناناً له لما هياً لهم من أسباب العيش والأمن^(١).

يقول تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢).



(١) - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٨٢٩ - ٨٣١. وكذلك روح الجنان.
 (٢) - سورة قريش، الآيتان: ٣ - ٤.

(٢٧)

صيحة اليقظة

عندما بعث النبي محمد ﷺ بالرسالة، سعى بكل ما أوتي من جهد وقوة في سبيل إبلاغها للناس، واستفاد من جميع الفرص المتاحة أمامه لكي يحقق هدف السماء، ونظراً إلى الأوضاع التي كانت سائدة في بداية الدعوة بحيث لم يكن من السهل جمع قريش في مجلس واحد من أجل إبلاغهم بالدعوة المحمدية الجديدة، لأن الأوضاع لم تكن مناسبة إطلاقاً، فكانت دعوة الناس إلى التوحيد وعبادة الله عملاً شاقاً، حتى أن قريشاً كانت تعيق عمله وتتصدى له في كل المناسبات، فلم تدع أحداً من الناس ولا من عبيدها يقترب من محمد ﷺ، أو أن يتكلم معه أو يصاحبه، وكانوا يقولون أن محمداً رجل ساحر يخدع الناس ويسحرهم بكلامه.

ذات يوم صعد الرسول ﷺ إلى تلة الصفا فقال: يا صباحاه (وكانت هذه الصيحة عادة عند العرب إذا هاجمهم عدو على غفلة صاح أحدهم يا صباحاه فتجتمع قريش وتنهض

لمواجهته). فأقبلت إليه قريش فقالوا له: ما لك؟ فقال: أرأيت لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال: أبو لهب تباً لك لهذا دعوتنا جميعاً فأنزل الله تعالى سورة المسد^(١) ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(٢).



(١) - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٨٥١.

(٢) - سورة المسد، الآية: ١.

(٢٨) حِيلُ إبليس

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾^(١) صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيدنا لما دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، فقال: لست لها، فقام آخر فقال: مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا وقعوا أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكله بها إلى يوم القيامة^(٢).

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٢) - تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٧٢٦.

(٢٩)

أصحاب الليل

عندما يرخي الليل ستاره على الوجود، وتظلم الدنيا، في وسط الليل ينهض المؤمن للعبادة والصلاة والدعاء فتتألأ شمعته قلبه نوراً وضياءً، وترسل أشعتها نحو السماء، في هذا الوقت تخفت جميع الأصوات وتسكت ولا يبقى سوى صوت التوحيد والدعاء، فيحيي صوت قلب المؤمن ليطرب أسماع الملائكة بمناجاته وأناته المحرقة من ألم العشق لله. فالتضرع والمناجاة في أوقات السحر وعند طلوع الفجر تبعث الصفاء في الروح والنفس وتوقظ القلوب وتقوي الإيمان وتمحق غبار الذنوب في وجود الإنسان.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير: ﴿...إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾^(١).

قال: صلاة الليل تذهب بذنوب النهار^(٢).

(١) - سورة هود، الآية: ١١٤.

(٢) - تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٤٠٢.

جاء في المتون الدينية أن صلاة الليل كانت واجبة على رسول الله ﷺ وأصحابه، قبل وجوب الصلوات الخمس. يقول ابن عباس: كانت صلاة الليل واجبة فطال الأمر سنة حتى رفع الله وجوبها وجعلها مستحبة^(١).

في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقوم الليل فيصلي صلاة الليل ويرغب الناس على ذلك، ويبشرهم بثوابها، فاشتد ذلك عليهم، وكان الرجل لا يدري متى ينتصف الليل ومتى يكون الثلثان وكان الرجل يقوم حتى يصبح مخافة أن تفوته الصلاة».

كانت صلاة الليل مشقة كبيرة على الرسول ﷺ وأصحابه، حتى أنهم كانوا يقومون الليل فتتورم أرجلهم من كثرة القيام، لذلك أنزل الله تعالى سورة المزمل ليخفف عنهم^(٢): ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحُصِّهُ فَنَابَ عَلَيْهِمْ فَأَقْرَأُوا مَا تَبَيَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَصْرِفُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْبَثُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَبَيَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا

(١) - راجع: كنز العرفان، ج ١، ص ١٥١.

(٢) - تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٩٢.

تَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ
اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ .



(١) - سورة المزمل، الآية: ٢٠.

(٣٠)

أرباب أضعف من الذباب

كانت العرب في الجاهلية تعبد أصناماً كثيرة، وعندما فتح الرسول ﷺ مكة (السنة الثامنة للهجرة) كان فوق سطح الكعبة وحولها ٣٦٠ صنماً أنزلت بأمر من رسول الله ﷺ وحطمت وأحرقت جميعها.

ذكر القرآن الكريم بعض أسماء الأصنام التي كانت قريش والمشركون يعبدونها فورد في سورة نوح ﷻ أسماء لخمس أصنام كبيرة ومهمة عندهم، وكانت كل قبيلة تعبد صنماً خاصاً بها، من هذه الأصنام «ود»، وكان على شكل رجل، و«سواع» على صورة امرأة، و«يعوث» يشبه الأسد، و«يعوق» على شكل حصان، و«نسر» على صورة الباز.

هذه الأصنام الخمسة كانت لها امتيازات خاصة وكانت العرب تجلها وتحترمها، فكان كبار القوم من المشركين الضالين وأصحاب الدنيا يعتمدون على عبادتها.

يقول تعالى في سورة نوح على لسان كبار القوم: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت قريش تلتطخ الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر، وكان يغوث قبالة الباب، وكان يعوق عن يمين الكعبة، وكان نسر عن يسارها، وكانوا إذا دخلوا خروا سجدا ليغوث ولا ينحنون، ثم يستديرون بحيالهم إلى يعوق، ثم يستديرون بحيالهم إلى نسر، ثم يلبون فيقولون: «لييك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك»، قال: فبعث الله ذبابا أخضر له أربعة أجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئا إلا أكله وأنزل الله تعالى: ﴿بَأَيِّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٢).



(١) - سورة نوح، الآية: ٢٣.

(٢) - سورة الحج، الآية: ٧٣، راجع كتاب: جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي، ج ١١، ص ٧٤.

(٣١)

جزاء أهل البيت عليهم السلام

مرض بضعتا رسول الله ﷺ وحبيباه الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدهما ﷺ ووجوه العرب، وقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً، فنذر صوم ثلاثة أيام إن شفاهما الله سبحانه ونذرت فاطمة عليها السلام كذلك، وكذلك فضة فبرءا وليس عندهم شيء فاستقرض علي عليه السلام ثلاثة أصوع من شعير من يهودي، وروي أنه أخذها ليغزل له صوفاً، وجاء به إلى فاطمة عليها السلام فطحنت صاعاً منها فاخبزته وصلى عليّ المغرب وقربته إليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته وقدمته إلى علي عليه السلام، فإذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثالث عمدت إلى الباقي فطحنته واخبزته وقدمته إلى علي عليه السلام فإذا أسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم أتى علي عليه السلام ومعه الحسن

والحسين عليه السلام إلى النبي ﷺ وبهما ضعف، فبكى رسول الله ﷺ وقال: يا أبا الحسن لقد شقّ عليّ ما رأيت من حالكم، ثم ذهبوا جميعاً إلى بيت فاطمة عليها السلام، وكانت قائمة في محرابها تصلي وتتعبد، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها وخفت شعاع نورهما، فلما رآها النبي ﷺ قال: واغوثاه يا أهل بيت محمد تموتون جوعاً، فهبط جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد خذها هناك الله في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرائيل؟ فأقرأه: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ إلى آخر السورة^(١).



(١) - راجع، مجمع البيان، ج١٠، ص ٦١١ و٦١٢، كذلك: بناء المقالة الفاطمية، السيد ابن طاووس، ص ٢٣٨.

(٣٢)

صلاة الجمعة أفضل من التجارة

بينما كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ أقدم دحية بن خليفة بن فروة وهو من تجار الشام، وكان إذا قدم إلى المدينة حمل معه كل ما يحتاج الناس من دقيق وبر وزيت وغيره، فينزل عند أحجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة، ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فيخرج الناس إليه لشراء حاجاتهم منه، فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يُسلم، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب بالناس، فلما علموا بقدمه، خرجوا من المسجد فلم يبق في المسجد مع رسول الله إلا ثمانية أنفار من بينهم علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال رسول الله ﷺ: لولا هؤلاء الناس لأمرت السماء عليهم حجارة، فأنزل المولى تعالى هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ النَّجْدِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾^(١).

(١) - سورة الجمعة، الآية: ١١ - راجع مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٣.

(٣٣)

ليس حياة محمد،

بل نهج محمد ﷺ

لما كانت معركة أحد أمر رسول الله ﷺ خمسين من الرماة على رأسهم عبد الله بن جبير، أن يمكثوا في الشعب ليحموا ظهور المسلمين فلا يبرحون مكانهم مهما كانت النتيجة، ثم حمل النبي ﷺ وأصحابه على المشركين فهزموهم وقتل علي بن أبي طالب ؓ أصحاب اللواء وأنزل الله نصرته على المسلمين، قال الزبير: فرأيت هنداً وصواحبها هاربات مصعدات في الجبال نادية خدامهن ما دون أخذهن شيء، فلما نظرت الرماة إلى القوم قد انكشفوا ورأوا أصحاب النبي يتتهبون الغنيمة، أقبلوا يريدون النهب واختلفوا، فقال بعضهم: لا تتركوا أمر الرسول، وقال بعضهم: ما بقي من الأمر شيء، ثم انطلق عامتهم ولحقوا بالعسكر، فلما رأى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيله من المشركين وحمل على أصحاب النبي ﷺ من

خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله بحجر وكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه وأقبل يريد قتله فذّب مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله يوم بدر ويوم أحد وكان اسم رايته العقاب عن رسول الله ﷺ حتى قتل مصعب بن عمير قتله ابن قمية، فرجع وهو يرى أنّه قتل رسول الله ﷺ، وقال: إنّي قتلت محمداً وصاح صائح ألا أنّ محمداً قد قتل، ويقال أنّ ذلك الصائح كان إبليس لعنه الله، ولما فشا في الناس أنّ رسول الله قد قتل، قال بعض المسلمين: ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبيّ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وبعضهم جلسوا وألقوا بأيديهم، وقال أناس من أهل النفاق: إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول، فقال أنس بن نضر عم أنس بن مالك: يا قوم إن كان قد قتل محمد فربّ محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله وموتوا على ما مات عليه، ثمّ قال: اللهمّ إنّي أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثمّ شدّ بسيفه فقاتل حتى قتل، ثمّ أنّ رسول الله انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس، فأول من عرف رسول الله كعب بن مالك، قال: عرفت عينيه تحت المغفر تزهران، فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا فهذا رسول الله ﷺ فأشار إليّ

أن اسكت فانحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي على الفرار، فقالوا: يا رسول الله فدينك بأبائنا وأمهاتنا، أتانا الخبر بأنك قتلت، فرُعبت قلوبنا فولينا مدبرين، فأنزل الله تعالى^(١):

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْفَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).



(١) - مجمع البيان، ج ٢، ص ٨٤٨، ٨٤٩.

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣٤)

رجال مقاومون أوفياء

بعد معركة أحد، وقد انصرف أبو سفيان وأصحابه منها، ندموا على انصرافهم عن المسلمين وتلاوموا لعدم استئصالهم، فبلغ الخبر رسول الله ﷺ، فأراد أن يرهب العدو ويريبهم من نفسه وأصحابه قوة. فأمر أصحابه بالخروج في طلب أبي سفيان، فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم أحد، ... فخرج ﷺ في سبعين رجلاً حتى بلغ حمراء الأسد وهي تبعد عن المدينة ثمانية أميال.

كان العديد من أصحابه قد أصيبوا بجراحات بليغة في المعركة وكانت جراحاتهم تنزف دماً، وكان في جسد أمير المؤمنين علي عليه السلام أكثر من ثمانين جرحاً وكانت فوق بعضها بحيث إذا أدخل الفتيلة في الجرح خرجت من الجرح الآخر، ومع ذلك لبسوا لامات الحرب وتعقبوا أبا سفيان وأصحابه.

وكان رجلٌ من بني الأشهل من أصحاب النبي ﷺ شهد أحداً، قال: شهدت أحداً أنا وأخ لي، فرجعنا جريحين، فلما

أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدو، قلنا لا تفوتنا غزوة مع رسول الله، فوالله ما لنا دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أيسر جرحاً من أخي، فكنت إذا غلب حملته عقبته ومشى عقبته حتى انتهينا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد، فمرّ برسول الله معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله بتهمته صفتهم معه لا يخفون عنه شيئاً ومعبد يومئذ مشرك، فقال: يا محمد ﷺ والله لقد عزّ علينا ما أصابك في قومك وأصحابك ولوددنا أن الله كان أعفأك فيهم، ثم خرج من عند رسول الله ﷺ، حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء واجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: قد أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم، فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراك يا معبد؟ قال: محمد ﷺ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قطّ، يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع عليه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على صنيعهم وفيه من الحق عليكم ما لم أر مثله قطّ، قال: ويلك، ما تقول؟ قال: فأنا والله ما أراك تترحل حتى ترى نواصي الخيل، قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم، قال: فأنا والله أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت أبياتاً من شعر، قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه عن الرجوع

للقضاء على الرسول وأصحابه، ومرّ به ركب من عبد قيس، فقال: أين تريدون؟ فقال: نريد المدينة، قال: فهل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة أرسلكم بها إليه وأحمل لكم إيلكم هذه زبيبا بعكاظ غداً إذا وافيتمونا؟ قالوا: نعم، قال: فإذا جئتموه فأخبروه أننا قد أجمعنا الكرة عليه وعلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، وانصرف أبو سفيان إلى مكة ومرّ الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبره بقول أبي سفيان، فقال رسول الله ﷺ وأصحابه: حسبنا الله ونعم الوكيل، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ثلاثة أيام من الوقوف في حمراء الأسد، فعاد مظفراً مستبشر الوجه عزيزاً مع أصحابه^(١).

يبين القرآن الكريم هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَعَعُوا لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ فَمَا بِهِمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾^(٢).



(١) - راجع تفسير مجمع البيان، ج ٢، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨ كذلك سيرة ابن هشام ج ٣، ص ١٠٩.
(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ - ١٧٤.

(٣٥)

نار تحرق رزق الطامعين

عن ابن عباس أنه قيل له أن قوما من هذه الأمة يزعمون أن العبد قد يذنب فيحرم به الرزق، فقال ابن عباس: فوالذي لا إله غيره لهذا أنور في كتاب الله من الشمس الضاحية ذكره الله سبحانه في سورة: ﴿ت وَالْقَلَمِ﴾، أنه كان شيخ كانت له جنة وكان لا يدخل بيته ثمرة منها ولا إلى منزله حتى يعطي كل ذي حق حقه، فلما قبض الشيخ وورثه بنوه وكان له خمسة من البنين فحملت جنتهم في تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملا لم يكن حملته قبل ذلك، فراح الفتية إلى جنتهم بعد صلاة العصر، فأشرفوا على ثمرة ورزق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم، فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا، وقال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيخاً كبيراً قد ذهب عقله وخرف فهلما نتعاهد ونتعاقد فيما بيننا أن لا نعطي أحداً من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئاً حتى نستغني وتكثر أموالنا، ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة، فرضي بذلك منهم أربعة

وسخط الخامس ولم يرض، فقال لهم أوسطهم: اتقوا الله وكونوا على منهاج أبيكم تسلموا وتغنموا، فبطشوا به فضربوه ضرباً مبرحاً، فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارهاً لأمرهم غير طائع، فراحوا إلى منازلهم، ثم حلفوا بالله أن يصرموه إذا أصبحوا ولم يقولوا إن شاء الله، فابتلاههم الله تعالى بذلك... وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه.

وبينما هم نائمون بعث الله سبحانه ناراً أحاطت ببستانهم فأحرقته حتى صار مسوداً كالليل المظلم، فلم يعد فيه شيء من الثمر، وكان ثمره قد قطع.

فلما أصبحوا نادى بعضهم بعضاً، وغدوا على بستانهم يريدون جني ثماره، فساروا مسرعين، وهم يتحدثون بصوت خافت كي لا يسمعهم فقير أو محتاج، وقد تعاهدوا أن لا يأخذ أحد منها شيئاً، خصوصاً الفقراء والمساكين، فلما وصلوا إلى جنتهم ورأوها على هذه الحال، قالوا: لقد ضللنا الطريق وهذه ليست بجنتنا، ثم إنهم استدركوا الأمر وعلموا أنها جنتهم لكنها قد احترقت والتهمت النار ثمارها، عند ذلك أدركوا أنهم عوقبوا لمنعهم حقوق الناس وحرمانهم الفقراء والمساكين من حقوقهم، وأيقنوا أنهم هم المحرومون واقعاً، ولقد كانوا غافلين عن هذا الأمر، فقال أوسطهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾

فقالوا: ﴿سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِينَ﴾ ، فقد ظلمنا أنفسنا إذ عزمنا على حرمان المساكين من حصتهم عند القطف فحرمنا الله قطفها والانتفاع منها، ثم بدأ يلوم بعضهم بعضاً على ما فرط منهم وعلى غلوهم في الظلم وتجاوز الحد، وقد اعترفوا بذنبهم وطغيانهم، وتابوا إلى الله سبحانه وقالوا: لعل الله يخلف علينا ويوليننا خيراً من الجنة التي هلكت، وكانت هذه عبرة لجميع الناس، يقول تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذِ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلٰى حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلٰى حَرِّ قَدْرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَل لَّحَنُ مَّحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا مُصْبِحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلٰى بَعْضٍ يَتَلَوَّمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (١).



(١) - سورة القلم، الآيات: ١٧ - ٣٣ - راجع تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٨١ - ٣٨٢ كذلك، مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٠٦.

(٣٦)

حسد النساء

كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة يدخل على أزواجه امرأة امرأة، فيسلم عليهن ويسألهن عن أحوالهن. وكان عند زوجته زينب بنت جحش غسل، فكان الرسول ﷺ إذا مكث عندها سقته من ذلك العسل. تقول (إحدى زوجاته) فتواطأت أنا وحفصة أيتنا يدخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إنني أجد منك ريح المغافير (وهو صمغ العرطف كريح الريحانة)، وكان رسول الله ﷺ يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك، فدخل على (إحدهن) فأخذت بأنفها، فقال لها: ما شأنك، فقالت: أجد ريح المغافير أكلتها يا رسول الله، قال بل شربت العسل عند زينب، ثم قال: والله لا أطعمه أبداً، فحرمه علي نفسه فنزلت الآية الكريمة: ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

(١) - سورة التحريم، الآية: ١ - راجع كتاب مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٧١. كذلك: روح الجنان: ذيل الآية.

(٣٧)

آداب الوصية

نحن البشر، وبخلاف العرف، ومن باب الفهم الخاطيء للشرع المقدس، فإننا نولي المسائل المادية أهمية تفكيرنا بعد موتنا، فنفكر في الأمور الدنيوية والمادية لأبنائنا، أما الأنبياء والأوصياء الذين اصطفاهم الله ﷻ، فيهتمون بالمسائل المعنوية والروحية والأمور التي توجب سعادة المرء في الدنيا والآخرة والكمال فيما يتعلق بأبنائهم والناس عموماً.

والقرآن الكريم يتحدث عن هذه الصورة في قوله تعالى:
﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَنْبِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَا تُمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ (١).

إن الإنسان ليس مسؤولاً عن الجانب المادي لأبنائه، بل

(١) - سورة البقرة، الآيتان: ١٣٢ - ١٣٣.

هو على الدوام وحتى عند لحظات الموت مسؤول عن سعادتهم ونجاتهم الأبديتين، وأهم مسألة - ما دامت الفرصة في يده وما دام عليه الاختيار - هي التوجه إلى الأسباب المعنوية وتهيئة زاده للسفر الطويل، سفر الأبدية.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يحسن وصيته عند موته كان نقصا في مروته، قلت: يا رسول الله وكيف يوصي عند الموت؟ قال: إذا حضرته الوفاة واجتمع الناس إليه قال: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، إنِّي أعهد إليك في دار الدنيا أنِّي أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأشهد أنَّ محمدا عبداً ورسولك، وأنَّ الجنَّة حق وأنَّ النار حق وأنَّ البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق، وأنَّ الدين كما وصفت وأنَّ الإسلام كما شرعت، وأنَّ القول كما حدثت وأنَّ القرآن كما أنزلت، وأنَّك أنت الله الملك الحق المبين، جزى الله محمدا خيرا الجزاء وحيّ الله محمدا وآل محمد بالسلام، اللهم يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا وليي في نعمتي: يا إلهي وإله آبائي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنَّك إن تكلني إلى نفسي كنت أقرب من الشر وأبعد من الخير واسري في الفتن وحدي، فأنس في القبر وحشتي، واجعل لي عهدا يوم ألقاك منشورا، ثم يوصي بحاجته.

وتصديق هذه الوصية في سورة مريم عَلَيْهَا في قوله كَلِمَاتٍ :
﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ، فهذا عهد
الميت. والوصية حق على كل مسلم أن يحفظ هذه الوصية
ويتعلمها، وقال علي عَلَيْهِ : علمنيها رسول الله ﷺ ، وقال :
علمنيها جبرائيل عَلَيْهِ ^(١).



(١) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٦١.

(٣٨)

الإصلاح يبدأ بالأقربين

منذ بعثة الرسول الأكرم ﷺ بالرسالة السماوية وحتى العام الثالث منها كان يقوم بالدعوة سرا، فأمن معه قلة قليلة من الأصحاب المخلصين، لكن عندما نزلت الآية الشريفة: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١)، ثم ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، كان لا بد من إعلان الرسالة وإظهار الدعوة الإلهية.

فلما نزلت هذه الآية جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس فأمر عليا عليه السلام برجل شاة فأدمها (فأحضرها)، ثم قال: ادنو بسم الله، فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا (شبعوا)، ثم دعا بقعب من لبن، ففجع منه جرعة، ثم قال لهم: (هلموا) واشربوا بسم الله، فشربوا حتى رووا، فبدرهم

(١) - سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٢) - سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

أبو لهب، فقال: هذا ما سحركم به الرجل، فسكت ﷺ يومئذ ولم يتكلم، ثم انصرفوا، ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب، ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتمكم به، إنني قد جئتمكم بأمر الدنيا والآخرة، يا بني عبد المطلب إنني أنا النذير إليكم من الله ﷻ فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثم قال: من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم فأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم، ويقول علي ﷺ: أنا يا رسول الله، فقال في المرة الثالثة: هذا أخي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوه، فقام القوم يتضحكون منه ويقولون لأبي طالب: قد أمر أن تسمع له وتطيع^(١)!



(١) - سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٢٨٠، وتفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٦٦، ٦٧.

(٣٩)

الذنوب الصغيرة

في خبر زياد عن الصادق عليه السلام : إنَّ رسول الله ﷺ نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: إئتونا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، قال: فليأت كلَّ إنسان بما قدر عليه. فجاءوا به حتى رموا به بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله ﷺ : هكذا تجتمع الذنوب، ثمَّ قال: «يَاكُمْ وَالْمَحْقَرَاتِ مِنَ الذَّنُوبِ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ طَالِبًا، أَلَا وَإِنَّ طَالِبَهَا يَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَأَثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مَبِينٍ».

وعن أبي بصير أنه سمع الباقر عليه السلام يقول: «اتقوا المحقرات من الذنوب، فإن لها طالبا ألا وإن طالبا يكتب ما قدموا وأثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبین». وعن أبي بصير أنه سمع الباقر عليه السلام يقول: اتقوا المحقرات من الذنوب، فإن لها طالبا، يقول أحدكم: أذنب واستغفر الله إنَّ الله ﻋﻠﯿﻚ

يقول: ﴿وَنَكَبْتُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١).

عن زيد الشحام في الموثق عن الإمام الصادق عليه السلام قال: اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت: وما المحقرات؟ قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك. وهو مما يؤدي إلى الإصرار مطلقاً وكذا نسيان حلمه عنه في تأخير العقوبة وستره عليه بالصون عن الفضيحة حساباً منه أن ذلك عناية من الله به وكرامة له فإنه سبب الأمن من مكروه عليه السلام باستدراجه من حيث لا يعلم وإملائه له ليزداد إثماً (٢).

في هذا الحديث إشارة واضحة إلى أن تراكم الذنوب الصغيرة والحقيقية بعين صاحبها، ستحدث يوم القيامة ناراً عظيمة تحرق مرتكبها.

قطرة فوق قطرة بحرٌ وحبّة فوق حبة غلال



(١) - كشف اللثام، الفاضل الهندي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ج ١٠، ص ٢٨٤.

(٢) - الكافي ج ٢، ص ٢٨٧، ج ١. كذلك التحفة السنوية، السيد عبد الله الجزائري (مخطوط)، ص ٢٣.

(٤٠)

الظهار

كان في الأنصار امرأة من الخزرج اسمها خولة وزوجها أوس بن الصامت، وذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها، فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وكان امرءاً فيه سرعة ولمم، فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثمّ ندم على ما قال، وكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية، فقال لها: ما أظنك إلا وقد حرمت عليّ، فقالت لا تقل ذلك واث رسول الله ﷺ فاسأله، فقال: إني أجد أني أستحيي منه أن أسأله عن هذا، قالت: فدعني أسأله، فقال: سليه فأتى النبي ﷺ وعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غانية ذات مال وأهل حتى إذا كل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبرت سني ظاهر مني وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه فتعشني به؟ فقال ﷺ: ما أراك إلا حرمت عليه، فقالت: يا

رسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقاً وأنه أبو ولدي وأحب الناس إليّ فقال ﷺ ما أراك إلا حرمت عليه ولم أوامر في شأنك بشيء، فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك، وكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت أنظر في أمري جعلني الله فداك يا نبي الله، فقالت عائشة: أقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضى الوحي، قال: ادعي زوجك، فتلا عليه رسول الله ﷺ الآية التي نزلت: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾... قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها ويخفى عليّ بعضه إذ أنزل الله ﷻ ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ فلما تلا عليه هذه الآيات، قال له: هل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: إذا يذهب مالي كله والرقبة غالية وأني قليل المال، فقال: هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال: والله يا رسول الله أني إذا لم آكل ثلاث مرات كلَّ بصري وخشيت أن تغشى عيني، قال: فهل تستطيع أن

تطعم ستين مسكيناً؟ قال: لا والله إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله، فقال: أتني معينك بخمسة عشر صاعاً وأنا داع لك بالبركة، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً، فدعا له البركة فاجتمع لهما أمرهما^(١).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٣٧١.

(٤١)

اختيار الله تعالى

بعدهما تزوج الرسول ﷺ من خديجة الكبرى عليها السلام، اشترت السيدة خديجة عبداً يدعى زيد، ثم وهبته فيما بعد للرسول ﷺ، ثم بعد ذلك وهبه الرسول الأكرم عليه السلام، ثم دعاه بابنه (ربيبه)، بعد البعثة الشريفة أسلم زيد وكان له عند الرسول ﷺ منزلة رفيعة ومكانة خاصة، استشهد في معركة مؤتة وكان على رأس جيش المسلمين آنذاك.

عندما أراد الرسول ﷺ أن يزوّج زيدا، وقع اختياره على زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة، ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت: أنا ابنة عمّتك، فلم أكن لأفعل، وكذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ

أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا^(١) يعني عبد الله بن جحش وأخته زينب، فلما نزلت الآية، قالت: رضيت يا رسول الله وجعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل بها وساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير وستين درهماً مهراً وخماراً وملحفة ودرعاً وإزاراً وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر^(٢).

(١) - سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٢) - تفسير مجمع البيان، ج ٧ - ٨، ص ٥٦٣.

(٤٢)

كلمات الجنة

جاء نفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، أنت الذي تزعم أنك رسول الله، وأنتك الذي يوحى إليك كما أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام؟ فسكت النبي ﷺ ساعة، ثم قال: نعم، أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا خاتم النبيين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين. قالوا: إلى من، إلى العرب، أم إلى العجم، أم إلينا؟ فأنزل الله ﷻ هذه الآية (قل) يا محمد ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾. قال اليهودي الذي كان أعلمهم: يا محمد، إنني أسألك عن عشر كلمات أعطى الله ﷻ موسى بن عمران في البقعة المباركة حيث ناجاه، لا يعلمها إلا نبي مرسل أو ملك مقرب. قال النبي ﷺ: سلني. قال: أخبرني - يا محمد - عن الكلمات التي اختارهن الله لإبراهيم عليه السلام حيث بنى البيت. قال: النبي ﷺ: نعم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. قال اليهودي: فبأي شيء بنى هذه الكعبة مربعة؟ قال النبي ﷺ: بالكلمات

الأربع. قال: لأي شيء سميت الكعبة؟ قال النبي ﷺ: لأنها وسط الدنيا. قال اليهودي: أخبرني عن تفسير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. قال النبي ﷺ: علم الله ﷻ أن بني آدم يكذبون على الله، فقال: «سبحان الله»، تبريا مما يقولون، وأما قوله: «الحمد لله»، فإنه علم أن العباد لا يؤدون شكر نعمته، فحمد نفسه قبل أن يحمده، وهو أول الكلام، لولا ذلك لما أنعم الله على أحد بنعمته، وقوله: «لا إله إلا الله»، يعني وحدانيته، لا يقبل الله الأعمال إلا بها، وهي كلمة التقوى، يثقل الله بها الموازين يوم القيامة، وأما قوله: «والله أكبر»، فهي كلمة أعلى الكلمات وأحبها إلى الله ﷻ، يعني أنه ليس شيء أكبر مني، لا تفتتح الصلاة إلا بها لكرامتها على الله وهو الاسم الأكرم. قال اليهودي: صدقت يا محمد، فما جزاء قائلها؟ قال ﷺ: إذا قال العبد: «سبحان الله»، سبح معه ما دون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها، وإذا قال: «الحمد لله»، أنعم الله عليه بنعيم الدنيا موصولا بنعيم الآخرة، وهي الكلمة التي يقولها أهل الجنة إذا دخلوها، وينقطع الكلام الذي يقولونه في الدنيا ما خلا «الحمد لله»، وذلك قوله ﷻ: ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۗ وَأٰخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). وأما قوله: «لا إله

(١) - سورة يونس، الآية: ١٠.

إلا الله»، فالجنة جزاؤه، وذلك قوله ﷺ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ يقول: هل جزاء من قال: «لا إله إلا الله إلا الجنة»؟. فقال اليهودي: صدقت يا محمد^(١).

ثم أن هذا اليهودي سأل الرسول ﷺ عشر كلمات، فلما أجابه الرسول ﷺ عن جميعها قال اليهودي: «أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله... وأسلم وحسن إسلامه^(٢)».

عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل رسول الله ﷺ ونقل عنه حديثاً طويلاً يقول فيه ﷺ حاكياً حال أهل الجنة: إذا أراد المؤمن شيئاً، إنما دعواه إذا أراد أن يقول: «سبحانك اللهم» فإذا قالها تبادرت إليه الخدام بما اشتهى من غير أن يكون طلبه منهم أو أمر به، وذلك قول الله ﷻ: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ يعني الخدام، قال: ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني بذلك عندما يقضون من لذاتهم من الجماع والطعام والشراب يحمدون الله ﷻ عند فراغهم^(٣).

(١) - الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٥٤ - ٢٥٦.

(٢) - نفس المصدر، ص ٢٦٢.

(٣) - تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٤٣)

من كل ألف واحد إلى الجنة

عندما كان رسول الله ﷺ يسير مع أصحابه ليلاً، وذلك في غزوة بني المصطلق وهم حيٌّ من خزاعة والناس يسيرون، فنادى رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأ عليهم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورُوا رِبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَنَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١٢﴾^(١)، فلم ير أكثر باكياً من تلك الليلة، فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس ما بين باك أو جالس حزين متفكر، فقال رسول الله ﷺ: أتدرون أيّ يوم ذاك قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ﷺ: ابعث

(١) - سورة الحج، الآيتان: ١ - ٢.

بعث النار من ولدك، فيقول آدم ﷺ: من كم وكم؟ فيقول الله عزّ وجل: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة، فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا: فمن ينجو يا رسول الله؟ فقال: أبشروا فإنّ معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلا كثرتاه ما أنتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الأسود أو كرقم في ذراع البكر أو كشامة في جنب البعير، ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا، ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا، ثمّ قال: إنّي لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة، وإن أهل الجنة مائة وعشرون صنفاً ثمانون منها أمّتي، ثمّ قال: ويدخل من أمّتي سبعون ألفاً الجنة بغير حساب... ومع كل واحد سبعون ألفاً، فقام عكاشة بن محصن، فقال: يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم، فقال: اللهم اجعله منهم فقام رجل من الأنصار فقال: أدع الله أن يجعلني منهم، فقال: ﷺ سبقك بها عكاشة، قال ابن عباس: كان الأنصاري منافقاً فلذلك لم يدع له^(١).

(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٦ - ٧، ص ١١٢.

(٤٤)

غيرة دينية

بلغ رسول الله ﷺ ، أنّ بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ وكان ذلك في السنة الخامسة للهجرة، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم، يقال له المريسيق من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم، فبينما الناس على ذلك الماء إذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار، يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسانان الجهني من بني عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفاري رجل من المهاجرين، يقال له جعال وكان فقيراً، فقال عبد الله بن أبي لجعال: إنك لهتاك، فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله:

والذي يحلف به لأزرنك ويهمك غير هذا وغضب ابن أبي
وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السنن، فقال ابن
أبي: قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما
قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول
الله ﷺ، ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا ما
فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما
والله لو أمسكتهم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم
ولأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائهم ومواليهم،
فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك،
ومحمد ﷺ في عزّ من الرحمن ومودّة من المسلمين، والله لا
أحبك بعد كلامك هذا، فقال عبد الله: اسكت فإنّما كنت أعب
فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد فراغه من
الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وأرسل إلى عبد
الله فأتاه، فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقال عبد الله:
والذي أنزل عليك الكتاب، ما قلت شيئاً من ذلك قط وإن زيدا
لكاذب، وقال: من حضر من الأنصار يا رسول الله شيخنا
وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن
يكون هذا الغلام وهم في حديثه، فعذره رسول الله ﷺ وفشت
الملامة من الأنصار لزيد ولما استقل رسول الله ﷺ فسار لقيه

أسيد بن الحضير فحيّاه بتحية النبوة، ثمّ قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكّرة ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ: أو ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنّه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل، فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثمّ قال: يا رسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وإنّ قومه لينظّمون له الخرز ليتوّجوه وإنّه ليرى أنّك قد اسلبته ملكاً وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنّه قد بلغني أنّك تريد قتل أبي فإن كنت لا بدّ فاعلاً فمرني فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبرّ بوالديه مني وأني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي أن يمشي في الناس فأقتله، فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال: بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا، قالوا: وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وليلتهم حتى أصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثمّ نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مسّ الأرض، وقعوا نياماً إنّما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن أبي، ثمّ راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع^(١)

(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠ - ص ٤٤٢ - ٤٤٤.

يقال له: بقعاء، فهاجت ريح شديدة آذنتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله ﷺ وذلك ليلاً، فقال: مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة، قيل من هو؟ قال: رفاعه، فقال: رجل من المنافقين، كيف يزعم أنه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته، ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي، فأتاه جبرائيل ﷺ فأخبره بقول المنافق وبمكان الناقة وأخبر رسول الله ﷺ بذلك أصحابه، وقال: ما أزعم أنني أعلم الغيب وما أعلمه، ولكن الله تعالى أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعه بن زيد في التابوت وهو أحد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك اليوم، قال: زيد بن أرقم، فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة، جلست في البيت لما بي من الهم والحياء، فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن أبي، ثم أخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فرفعه عن الرحل، ثم قال: يا غلام صدق فوك ووعت أذنك ووعى قلبك وقد أنزل الله فيما قلت قرآناً وكان عبد الله بن أبي بقرب المدينة، فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي حتى أناخ على مجامع طرق المدينة، فقال: مالك ويلك؟ قال: والله لا تدخلها إلا بإذن رسول الله ﷺ، ولتعلمن اليوم من الأعر من الأذل، فشكا عبد الله ابنه إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليه أن

خَلَّ عَنْهُ يَدْخُلُ، فَقَالَ: أَمَا إِذَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَنَعَمْ فَدَخَلَ
فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا حَتَّى اشْتَكَى وَمَاتَ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ
الآيَاتُ وَبَانَ كَذِبُ عَبْدِ اللَّهِ قَبِيلَ لَهُ، نَزَلَ فِيكَ آيَ شِدَادٍ فَازْهَبْ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَغْفِرْ لَكَ، فَلَوَى رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَرْتُمُونِي
أَنْ أَوْمِنَ فَقَدْ آمَنْتَ، وَأَمَرْتُمُونِي أَنْ أُعْطِيَ زَكَاةَ مَالِي فَقَدْ
أَعْطَيْتَ، فَمَا بَقِيَ إِلَّا أَنْ أَسْجُدَ لِمُحَمَّدٍ فَنَزَلَ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا نُؤْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا
إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (١).



(١) - سورة المنافقون، الآيات: ٥ - ٨.

(٤٥)

جزاء التخلف

أصدر الرسول الأكرم ﷺ الأمر بالتحرك باتجاه العدو، وذلك في غزوة تبوك، فتحرك الجميع، ما عدا ثلاثة أشخاص تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يلتحقوا بالجيش الإسلامي، غير أنّ تخلفهم لم يكن من باب النفاق، بل كان بحجة العجز والضعف، ومن باب التكاسل، ثمّ كان من أمرهم أن ندموا على تخلفهم.

هؤلاء الأشخاص هم: كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك أنّهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه لا عن نفاق ولكن عن توان، ثمّ ندموا، فلما قدم النبي ﷺ المدينة، جاءوا إليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم أحد منهم، فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم إلى رسول الله ﷺ فقلن له يا رسول الله نعتزلهم، فقال: لا ولكن لا يقربوكنّ فضاقت عليهم المدينة فخرجوا إلى رؤوس الجبال وكان أهاليهم يجيئون لهم

بالطعام ولا يكلمونهم، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ولا يكلمنا أحد منهم، فهلا نتهاجر نحن أيضاً فتفرقوا ولم يتجمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون إليه، فقبل الله تعالى توبتهم وأنزل فيهم هذه الآية^(١): ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰ إِلَهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).



(١) - مجمع البيان، ج ٥ - ٦ - ص ١٢٠.
 (٢) - سورة التوبة، الآية: ١١٨.

(٤٦)

آية نجات الإنسان

يقول أبو ذر الغفاري أنّ رسول الله ﷺ قال له: «يا أبا ذر، من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر، قلت: وما الثلاث، فداك أبي وأمي؟ قال: ورع يحجزه عمّا حرم الله ﷻ عليه، وحلم يردّ به جهل السفية، وخلق يداري به الناس. يا أبا ذر، إن سرّك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإن سرّك أن تكون أكرم الناس فاتق الله، وإن سرّك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله ﷻ أوثق منك بما في يدك. يا أبا ذر، لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم»: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾^(١)... يا أبا ذر، طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصة، وأذل نفسه في غير مسكنة، وأنفق مالا جمعه في غير

(١) - سورة الطلاق، الآيتان: ٢ - ٣.

معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله^(١).

وروي عن أبي ذر عن النبي ﷺ أنه قال: إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾، فما زال يقرؤها ويعيدها. وروي أنّ رجلا أسره المشركون فأتى أبوه وهو عون بن مالك الأشجعي إلى رسول الله ﷺ وذكر له ذلك وشكا إليه الفاقة، فقال له: اتق الله واصبر وأكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل الرجل، فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل قد غفل عنها العدو فاستاقها^(٢).



(١) - منهاج الصالحين، الشيخ وحيد الخراساني، ج ١، ص ٢٢٧.

(٢) - زبدة البيان، المحقق الأردبيلي، ص ٥٨٦.

(٤٧)

الشعائر الإلهية

ينقل عن الإمام الصادق عليه السلام في شأن الآية الشريفة:
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

إنَّ آدم عليه السلام صفي الله، عندما هبط من الجنة هبط في جبل الصفا، وعندما هبطت حواء عليها السلام هبطت في جبل المروة، والصفا والمروة استقا من اسم آدم وحواء عليهما السلام.

ويروي أهل الكتاب أنَّ «أساف ونائلة» (صنمان كانا في أطراف الكعبة) إنّما كانا فيما يقال: رجلاً وامرأة، فالرجل اسمه أساف بن بقاء، والمرأة اسمها نائلة بنت ذئب وقيل كانا من قبيلة جرهم، فزنيا داخل الكعبة فمسخهما الله حجّرين، فنصبهما الناس عند الكعبة وقيل على الصفا والمروة ليعتبر الناس بهما ويتعظوا، ثمَّ حولهما قصي بن كلاب فيما بعد،

(١) - سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

فجعل أحدهما ملاصقاً للكعبة والآخر بززم، ونحر عندهما وأمر الناس بعبادتهما، ولما فتح الرسول ﷺ مكة كسرهما، غير أن المسلمين بعد فتح مكة تركوا السعي بين الصفا والمروة، لأنه كان من عمل الجاهلية. ثم بعد ذلك نزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) بحيث جعلت السعي من شعائر الله وبذلك خلدت ذكرى أم وابنها (هاجر واسماعيل) وجعلت هذه الحادثة التاريخية (قصة هاجر واسماعيل وخروج ماء زمزم) باقية وحية ما بقي الدهر، بحيث أراد المولى ﷺ أن لا تمحى هذه الخاطرة من الأذهان^(٢).

(١) - سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

(٢) - راجع: شرح مسلم النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، ج ٩، ص ٢٢ - ٢٣ كذلك: روح الجنان: ج ١، ص ٣٩١ وجوامع الجامع: ص ٣٠، ذيل الآية ١٨٥ من البقرة.

(٤٨)

عاشق واحد بقلب واحد

كان عبد الله بن أبيّ رئيس المنافقين، لكن ابنه عبيد الله كان مسلماً ويحب الرسول ﷺ إسلامه.

في أحد الأيام كان عبيد الله عند الرسول ﷺ، فشرّب النبي ﷺ، فقال: ابق فضلة من شرابك أسقها أبي لعلّ الله يطهر قلبه، فأعطاه فأتى بها أباه، فقال: ما هذا؟ فقال: بقية شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشرّبها لعلّ الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك، فرجع إلى النبي ﷺ، فقال: ائذن لي في قتله فقال بل ترفق به^(١).

نعم إنّ المولى تعالى يحذر عباده المؤمنين ويقول لهم، لا يمكن لقلب واحد أن يسع محبة الله ومحبة أعدائه في آن واحد، من هنا نزلت الآية الشريفة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ

(١) - مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٣٨٣.

أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ
 الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ
 حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

إن محبة الآباء والأمهات والأبناء وسائر الأقرباء والأرحام، علامة لتلك العاطفة الجياشة التي تجري في وجود الإنسان، والإسلام أيضاً يوحى بإظهار تلك المحبة ويؤكد على صلة الأرحام، وينهي عن قطع الأرحام. لكن عندما تتعارض هذه المحبة مع محبة الله، فإنها تفقد كل قيمة، لذلك، رأينا في كثير من المعارك والغزوات، أن بعض الأقرباء أو الأبناء كانوا يقفون في الصف المقابل والمخالف لأقربائهم وكانوا ينازلونهم في المعارك ويقاتلون أقرباءهم من الكفار والمشركين، حتى أنهم يقتلونهم في بعض الأحيان.



(١) - سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٤٩)

أكبر الذنوب

عن عبد الله بن مسعود، قال: سألت رسول الله ﷺ أيُّ الذنوب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: قلت: ثم أيُّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾^(١).

وهذه الصفات التي ذكرت هي جزء من صفات (عباد الرحمن) التي وردت في سورة الفرقان، والتي تحدث فيها المولى عن أولئك العباد الطاهرة: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا^(٢٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا

(١) - ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٣٤٨، باب الذنب.

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا
 وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
 ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
 أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ
 مُهَانًا ﴿٦٩﴾ (١).



(١) - سورة الفرقان، الآيات: ٦٣ - ٦٩.

(٥٠)

خيانة الأصدقاء

جاء في تفسير مجمع البيان أنّ سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين، فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهب مواليّ واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، قال: فأين أنت من شبان مكة؟ وكانت مغنية نائحة؟ قالت: ما طلب مني بعد وقعة بدر، فحث رسول الله ﷺ عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها نفقة وكان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاهم عشرة دنانير وكساها برداً على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله يريدكم فخذوا حذرکم فخرجت سارة ونزل جبرائيل ﷺ فأخبر

النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرساناً، وقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فخذوه منها، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله ﷺ، فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع، فقال علي ؑ: والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال لها: اخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك، فلما رأت الجدّ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته، وكنت عريراً فيهم: أي غريباً، وكان أهلي بين ظهرانيتهم فخشيت على أهلي، فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ: وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع

على أهل بدر فغفر لهم، فقال: لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت (١).

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (٢).

(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٤٠٤ - ٤٠٥.
(٢) - سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٥١)

نجوى الشيطان

كان اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم، قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية^(١): ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعَدْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

ليس هذا المقام الأول ولا هذه المرة الوحيدة التي يتمرد

(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٣٧٥.

(٢) - سورة المجادلة، الآية: ٨.

فيها المنافقون على أوامر الرسول ﷺ فلا يطيعوه، والتاريخ مليء بالشواهد التي تحكي عن تأمر هؤلاء الناس وتوجيههم الضربة تلو الضربة إلى الجسم الإسلامي، بحيث لم يكن أحد يؤذي المسلمين بمثل هؤلاء، لذلك نرى القرآن الكريم حين يتحدث عن عقابهم يقول: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾^(١).



(١) - سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٥٢)

آداب الجلوس

كان الأصحاب يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض، وقال المقاتلان: كان رسول الله ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء أناس من أهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ، فقالوا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ﷺ، ثم سلّموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم، فلم يفسحوا لهم، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم، وقال المنافقون للمسلمين: أستم تزعمون أنّ

صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء، إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامات فنزلت الآية^(١): ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

وبذلك يكون المولى تعالى قد شرح في هذه الآية المباركة بعضاً من آداب الجلوس لعباده.



(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٩ - ١٠، ص ٣٧٩. كذلك روح الجنان، ج ١١، ص ٧٧.

(٢) - سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٥٣)

امتحان الإيمان

قال ابن عباس: صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردّوه عليه، وكتبوا بذلك كتاباً وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنيبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم، وقال مقاتل: (هو صيفي ابن الراهب) في طلبها وكان كافراً، فقال: يا محمد اردد علي امرأتي فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا منا وهذه طينة الكتاب لم تجفّ بعد فنزلت الآية: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۗ فَإِنْ عَلَّمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَآ أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَبْتُمُوهُنَّ أُجْرَهُنَّ ۗ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ ۗ وَسَأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنفَقُوا ۗ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾.

(١) - سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

قال ابن عباس: امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن أرض إلى أرض ولا التماس دنيا وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضاً لزوجها ولا عشقاً لرجل منا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام، فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها عليه... فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحن ويعطي أزواجهن مهورهن^(١).



(١) - تفسير مجمع البان: ٩ - ١٠، ص ٤١٠.

(٥٤)

شق القمر

لقد كان المشركون في صدر الإسلام يجهدون في سبيل منع انتشار الدعوة الإسلامية، فلم يتركوا وسيلة إلا جربوها ولا سبيلاً إلا سلكوه، لكنهم فشلوا ولم يصلوا إلى هدفهم، لذلك قرروا أن يعملوا عملاً يزلزل نبوة محمد ﷺ ويجعله عاجزاً عن فعل ما يطلبونه منهم، لذلك: اجتمع أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة الرابع عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي ﷺ: ما من نبي إلا وله آية فما آيتك في ليلتك هذه؟ فقال النبي ﷺ: ما الذي تريدون؟ فقالوا: أن يكن لك عند ربك قدر فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فهبط جبرائيل عليه السلام وقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام، ويقول لك: إني قد أمرت كل شيء بطاعتك، فرفع رأسه فأمر القمر أن ينقطع قطعتين، فانقطع قطعتين فسجد النبي ﷺ شكراً لله وسجد شيعتنا، ورفع النبي ﷺ رأسه ورفعوا رؤوسهم، ثم قالوا: يعود كما كان فعاد كما كان، ثم قالوا: ينشق رأسه فأمره فانشق فسجد النبي ﷺ شكراً لله وسجد

شيعتنا، فقالوا يا محمد حين تقدم سفارنا من الشام واليمن
 فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا
 علمنا أنه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنه سحر
 سحرتنا به، فأنزل الله تعالى^(١): ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشَقَّ
 الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾^(٢).



(١) - تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ٢، ص ٣٤١.
 (٢) - سورة القمر، الآيتان: ١ - ٢.

(٥٥)

شاهد على الوصية

خرج ثلاثة نفر من المدينة تجاراً إلى الشام، تميم ابن أوس الداري وأخوه عدي وهما نصرانيان وابن أبي مارية مولى عمرو بن العاص السهمي وكان مسلماً، حتى إذا كانوا ببعض الطريق مرض ابن أبي مارية فكتب وصيته بيده ودسّها في متاعه وأوصى إليهما ودفع المال إليهما، وقال: أبلغا هذا أهلي، فلما مات فتحا المتاع وأخذا ما أعجبهما منه، ثم رجعا بالمال إلى الورثة، فلما فتش القوم المال فقدوا بعض ما كان قد خرج به صاحبهم فنظروا إلى الوصية فوجدوا المال فيها تاماً، فكلموا تميماً وصاحبه، فقالا: لا علم لنا به وما دفعه إلينا أبلغناه كما هو، فرفعوا أمرهم إلى النبي ﷺ: فنزلت الآية الشريفة^(١):

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهْدَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ
أَنَّانِ ذُوا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ

(١) - مجمع البيان، ج ٣ - ٤ - ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَلَمَتْ تَحْسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنَّ
أَرْبَبَهُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا
لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١﴾ .



(١) - سورة المائدة، الآية: ١٠٦.

(٥٦)

فوز الشيعة

جاء في مجمع البحرين في معنى كلمة الشيعة وأصلها، أن كل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة جماعة مخصوصة، والجمع شيع مثل سدره وسدر. وفي النهاية: أصل الشيعة الفرقة من الناس، وتقع على الواحد والاثنين والجمع المذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وغلب هذا الاسم على كل من يزعم أنه يوالي عليا وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصاً. فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب الشيعة (كذا أي عندهم)، وأصلها من المشايعة (وهي المتابعة والمطاوعة)^(١).

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: «كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال النبي ﷺ: قد أتاكم أخي، ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده

(١) - مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، ج ٢، ص ٥٧٢.

أَنَّ هَذَا وَشِيعَتَهُ لَهُمُ الْفَائِزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ أَوْلَكُمْ
إِيمَانًا مَعِي، وَأَوْفَاكُمْ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَأَقْوَمَكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَعْدَلَكُمْ
فِي الرِّعْيَةِ، وَأَقْسَمَكُمْ بِالسُّوِيَةِ، وَأَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَزِيَّةً، قَالَ:
فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ
الْبَرِيَّةِ﴾^(١)، قَالَ: فَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيَّ ﷺ
قَالُوا: جَاءَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ^(٢).



(١) - سورة البينة، الآية: ٧.

(٢) - تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٤٤.

(٥٧)

جزاء ناكث العهد

لما دخل النبي ﷺ المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بداراً وظهر على المشركين، قالوا: والله أنه للنبي الذي وجدنا نعتة في التوراة لا تردّ له راية فلما غزا غزاة أحد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد، ثم دخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة، ونزل جبرائيل ﷺ فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه وأبو سفيان وأمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلم الأنصاري وكان أخاه من الرضاة. قال محمد بن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما

عمرو بن أمية الضمري وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم النبي ﷺ يستعينهم في الدية قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقال: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه، ورسول الله ﷺ إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد، فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة؟ ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا فخرج راجعاً إلى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسأله عنه، فقال: رأيتُه داخلاً المدينة فأقبل أصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحرث وخرج النبي ﷺ على أثرهم وجلس في موضع ينتظر وجوههم، فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره وأجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه، وقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن مسلمة أخوك جئتك أستقرض منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم، فقال: لا أقرضك إلا بالرهن، قال: معي رهن أنزل فخذته وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروساً، فقالت: لا أدعك تنزل لأنني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت

فلم يلتفت إليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء، ثم أخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ، أصحابه بقتل كعب وفرحوا وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم، فسار بالناس حتى نزل بهم، فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فأنزل الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١).

وهي البويرة في قول حسان:

وَهَانَ عَلَى سَرَاةِ بَنِي لُؤَيٍّ
حَرِيقٌ بِالْبُؤَيْرَةِ مُسْتَطِيرٌ

والبويرة: تصغير بؤرة وهي إرة النار أي حفرتها، وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات بالشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بغير أو سقاء، فخرجوا إلى

(١) - سورة الحشر، الآية: ٥.

أذرعَات بالشَام وأريحَا إِلَا أَهْل بَيْتَيْنِ مِنْهُم آلُ أَبِي الْحَقِيقِ وَآلُ
حِييِ بْنِ أَخْطَبٍ فَإِنَّهُمْ لِحَقْوَا بِخَيْرٍ وَلِحَقَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
بِالْحِيرَةِ^(١).

(١) - تفسير مجمع البيان - ج ٩ - ١٠، ص ٣٨٦ - ٣٨٧. كذلك: تفسير نور
الثقلين، ج ٥، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٥٨)

تجليات الإيثار

بعدهما أذل الله ورسوله ﷺ اليهود من بني قريظة وبني النضير، وتفرقوا في البلاد تاركين الغنائم والدور والبساتين خلفهم، وقعت جميعها في يد الرسول ﷺ والمسلمين، وأضحت الغنائم ملكاً لهم.

عندما شرع الرسول ﷺ في تقسيم الغنائم، خصوصاً غنائم بني النضير، قال الرسول ﷺ للأنصار: «إِنْ شِئْتُمْ قَسَمْتُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَدِيَارِكُمْ وَتَشَارِكُونَهُمْ فِي هَذِهِ الْغَنِيمَةِ وَإِنْ شِئْتُمْ كَانَتْ لَكُمْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَمْ يَقْسَمْ لَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَقَالَ الْأَنْصَارُ: بَلْ نَقْسِمُ لَهُمْ مِنْ أَمْوَالِنَا وَدِيَارِنَا وَنُوَثِّرُهُمْ بِالْغَنِيمَةِ وَلَا نَشَارِكُهُمْ فِيهَا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ الْمُبَارَكَةُ:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

(١) - سورة الحشر، الآية: ٩.

نعم، هناك دائماً في الحياة أشخاص مميزون مضحون ويؤثرون على أنفسهم وهم في أشد الحاجة إلى الطعام والمال وغير ذلك من لوازم الحياة، لكن على الرغم من ذلك تبقى نفوسهم كبيرة وأرواحهم عظيمة وأبية.

يقال أن في يوم أحد سقط سبعة جرحى من المسلمين، وهم عطاشى فجيء بماء لا يكفي إلا واحد فقط فقال واحد منهم: ناول الماء فلانا فهو أحوج إليه مني، ثم قال الثاني: نفس المقالة، حتى طاف الماء على السبعة فماتوا ولم يشرب أحد منهم فأثنى الله سبحانه وتعالى عليهم^(١).



(١) - راجع تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٣٩٠ - ٣٩١.

(٥٩)

المؤثرون الفائزون

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أطمعني فإني جائع فبعث إلى أهله (نساءه) فلم يكن عندهم شيء فقال: من يضيفه هذه لله؟ فقام علي ﷺ وقال أنا أطعمه وأشبعه يا رسول الله. فأضافه أمير المؤمنين ﷺ وأتى به منزله ولم يكن عنده إلا قوت صبية له فأتوا بذلك إليه وأطفأوا السراج وقامت السيدة الزهراء ﷺ إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا وجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ، فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين، فلما أصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية^(١): ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا

(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٣٩١، كذلك نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٥٨.

وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .



(١) - سورة الحشر، الآية: ٩.

(٦٠)

الكفران بدل النعمة

كانت العرب في الجاهلية يعتقدون بالأنواء، فإذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا، وهذا يعني أن المطر ينزل ببركة طلوع فلان أو كذا من الكواكب والنجوم، وهذا نوع من الشرك، أو من مظاهر الشرك وعبادة النجوم.

يقول ابن عباس: «كان رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه في سفر، فأصاب الناس عطش، فدعا رسول الله ﷺ فسقوا جميعاً، فسمع رجلاً يقول مطرنا بنوء كذا (من النجوم)»^(١)، فنزلت الآية: ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ﴾^(٢).



(١) - راجع: تفسير روح الجنان، ج ١، ص ٢٦. كذلك: مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.
(٢) - سورة الواقعة، الآية: ٨٢.

(٦١)

حب امرأة

تربط الإنسان بالأم والأب والأخ والأخت والأقارب علاقة ذاتية وعلاقة نسب تنبع من أعماق القربى، غير أنَّ العلاقة التي تربط الزوج والزوجة، تختلف، فهي رابطة عقدية وقانونية، وفي كثير من الأحيان نرى أن العلاقة الزوجية تغلب على رابطة الأب والأم، فتكون أشد منها، والقرآن الكريم يكشف عن هذه الحقيقة بالتالي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾^(١).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من سرية كان أصيب فيها ناس كثير من المسلمين فاستقبلته النساء يسألن عن قتلاهن فذنت منه امرأة فقالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟ قال: وما هو منك» فقالت: أخي،

(١) - سورة الروم، الآية: ٢١.

قال: أحمدى الله واسترجعى فقد استشهد، ففعلت ذلك، ثمّ
قالت: يا رسول الله ما فعل فلان؟ فقال: وما هو منك؟ قالت:
زوجي. قال: أحمدى الله واسترجعى فقد استشهد، فقالت:
واذلاًه، فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أظن أن المرأة تجد
بزوجها هذا كله حتى رأيت هذه المرأة^(١).



(١) - بحار الأنوار: ج ١٠٠، ص ٣٤٨. تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ١٧٤.

(٦٢)

الألقاب القبيحة

كان رجلٌ يدعى ثابت بن قيس بن شماس وكان في أذنه وقر وكان إذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوماً والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول: تفسحوا تفسحوا حتى انتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلساً فاجلس، فجلس خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة، قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة ذكر أمماً له كان يعير بها في الجاهلة فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١).

(١) - سورة الحجرات، الآية: ١١.

وبذلك نهى القرآن الكريم المسلمين وأتباع الدين الحنيف
من ذكر ألقاب الآخرين القبيحة، أو الاستهزاء بهم^(١).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٢٠٢.

(٦٣)

تكبر اليهود

كان اليهود يعرفون الرسول محمد ﷺ بالاسم والكنية من العلامات التي ذكرت في التوراة وقرأوها، لكن عنادهم وحبهم للدنيا ومصالحهم وتكبرهم كل ذلك منعهم من الإيمان به ﷺ.

في إحدى الأعياد اليهودية قدم رسول الله ﷺ مع أحد أصحابه إلى معبد اليهود، حيث كانوا مجتمعين، فلم يسرّوا لزيارته، ثم قال لهم: «فليشهد اثنا عشر نفرًا منكم أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فيرفع الله غضبه عن اليهود، فسكتوا جميعاً، ثم أعاد ذلك فلم يجبه أحد. فقال رسول الله ﷺ: إنكم تأبون إظهار الحق، لكنني أقسم بالله، إنني أنا «حاشر» أنا «عاقب» الذي تقرأونه في توراتكم^(١).

ولما أراد عبد الله بن سلام الإسلام دخل على رسول الله ﷺ فأسلم، وقال: أشهد أنك رسول الله أرسلك بالهدى

(١) - تفسير مراغي، ج٢٦، ص١٤.

ودين الحق وأنّ اليهود يجدونك عندهم في التوراة منعوتا، ثمّ قال: أرسل إلى نفر من اليهود إلى فلان وفلان سماهم له وأخبأني في بيتك فسلهم عني وعن والدي فإنهم سيخبرونك وأني سأخرج عليهم فأشهد أنك رسول الله ﷺ أرسلك بالهدى ودين الحق لعلهم يسلمون ففعل رسول الله ﷺ ذلك فخبأه في بيته وأرسل إلى نفر الذين أمره بهم فدعاهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما عبد الله بن سلام فيكم وما كان والده؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا، قال: فقال رسول الله ﷺ: أرايتم إن أسلم أتسلمون؟ قالوا: إنّه لا يسلم، قال: أرايتم إن أسلم أتسلمون؟ قالوا: إنه لا يسلم، قال: فدعاه رسول الله ﷺ فخرج عليهم، فقال^(١): أشهد أنك رسول الله أرسلك بالهدى ودين الحق وإنّهم ليعلمون منك مثل ما أعلم، قال: فقالت اليهود لعبد الله: ما كنا نخشاك يا عبد الله على هذا، قال: فخرجوا من عنده وأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكُفْرُكُمْ بِهِءِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

(١) - تاريخ مدينة دمشق، ابن عساکر، ج ٢٩، ص ١١٤.

(٢) - سورة الأحقاف، الآية: ١٠.

(٦٤)

عادة عابدي الأصنام

لقد بيّن الله تعالى في كتابه العزيز عقائد المشركين والكفار وعاداتهم الخرافية من عبادة الأصنام وغيرها، وذلك من أجل اقتلاعها من جذورها، لأنّ عبادة الأصنام والشرك بالله، وجعل الحجارة والخشب وأمثالها أرباباً من دون الله تعالى، هو انحطاط فكري وتخلف وانحراف عن جادة الحق والكمال والصواب.

ومن جملة ما كان يصنع هؤلاء المشركون أنّهم كانوا يجعلون للأصنام نصيباً من أموالهم ينفقونها عليها فشاركوها في نعمهم وأموالهم.

١ - كانوا يزرعون لله زرعاً وللأصنام زرعاً فكان إذا زكا الزرع الذي زرعه الله ولم يزك الزرع الذي زرعه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه إليها ويقولون إنّ الله غنيّ والأصنام أحوج وإن زكا الزرع الذي جعلوه للأصنام ولم

يزكُّ الزرع الذي زرعه الله سبحانه لم يجعلوا منه شيئاً لله تعالى وقالوا: هو غني وكانوا يقسمون النعم، فيجعلون بعضه لله ﷻ وبعضه للأصنام فما كان لله سبحانه أطعموه الضيفان وما كان للصنم أنفقوه على الصنم.

٢ - كانوا إذا اختلط ما جُعل للأصنام بما جُعل لله تعالى ردُّوه وإذا اختلط ما جُعل لله سبحانه بما جُعل للأصنام تركوه، وقالوا: الله تعالى أغنى وإذا تخرق الماء من الذي لله ﷻ في الذي للأصنام لم يسدُّوه وإذا تخرق من الذي للأصنام في الذي لله سبحانه سدُّوه وقالوا: الله تعالى أغنى.

٣ - كانوا إذا هلك ما جعل للأصنام بدّلوه مما جعل لله وإذا هلك ما جعل لله لم يبدّلوه مما جعل للأصنام^(١).

لقد أشار المولى تعالى إلى هذه العقيدة الفاسدة المنحرفة بعبارة صغيرة وبلغّة فقال: ﴿...سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٣ - ٤، ص ٥٧١.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ١٣٦.

(٦٥)

إسلام الجن

قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّندِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَعْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾^(١).

وكان سبب نزول هذه الآية أنّ رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه يزيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله، ثمّ رجع إلى مكة فلما بلغ موضعا يقال له وادي مجنة تهجد بالقرآن في جوف الليل، فمر به نفر من الجن، فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ

(١) - سورة الأحقاف، الآيات: ٢٩ - ٣٢.

استمعوا له، فلما سمعوا قراءته، قال بعضهم لبعض: ﴿انصتوا﴾^(١) يعني اسكتوا ﴿فَلَمَّا قَضَى﴾ أي فرغ رسول الله ﷺ من القراءة ﴿...وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وآمنوا وعلمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ أَسْمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٢).

فحكى الله قولهم وولى عليهم رسول الله ﷺ منهم كانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ في كل وقت فأمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلمهم ويفقههم، فمنهم مؤمنون ومنهم كفرون وناصرين ويهود ونصارى ومجوس وهم ولد الجان^(٢).



(١) - سورة الجن، الآية: ١.

(٢) - تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٦٦)

المحبة جزائي

حين قدم رسول الله ﷺ الى المدينة واستحکم الإسلام فيها، قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول الله ﷺ فنقول له: إن تَعْرُكُ أمور فهذه أموالنا تحکم فيها غير حرج ولا محذور عليك فأتوه في ذلك فنزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ فقرأها عليهم وقال: تودون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله، فقال المنافقون: إن هذا لشيء افتراء في مجلسه أراد بذلك أن يذلنا لقرابته من بعده فنزلت: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتد عليهم فأنزل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الآية فأرسل في إثرهم فبشّرهم وقال: ويستجيب الذين آمنوا وهم الذين سلّموا لقوله، ثم قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ أي ومن فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب.

وعن الحسن بن علي عليه السلام أنه خطب الناس، فقال: في

خطبته إنّنا من أهل البيت الذين افترض الله موَدّتهم على كل مسلم، فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ فافتراف الحسنة موَدّتنا أهل البيت^(١).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠ - ص ٤٤.

(٦٧)

إضلال الناس بالغناء والموسيقى

كان النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي بن كلاب يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري أخبار الأعاجم ويحدث بها قريشاً، ويقول لهم: أن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن^(١).

يقول ابن عباس: كان النضر بن الحرث يشتري الجواري المغنيات ويجذب إليهن من كان يريد أن يعتنق الإسلام ليضله عن سبيل الحق والهداية، فكان يقدم إليهم الشراب ويقول: هذا أفضل من صلاة محمد وصيامه والجهاد في سبيل الله^(٢)، لذلك نزلت الآية الشريفة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ

(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٧ - ٨، ص ٤٩٠.

(٢) - راجع: تفسير الطبري، طبقاً تنقل «نمونه بينات» ص ٦١٣.

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١﴾.

نعم ان الذين يغفلون عن المعاد والحساب يتلهون بالأعمال الباطلة، اما الذين يؤمنون بالحياة الأخرى ويحسبون أنفسهم مسئولة عن كل عمل يقومون به، فإنهم يجتنبون اعمال اللهو والباطل ويسعون وراء زاد الآخرة والسعادة الأبدية.



(١) - سورة لقمان، الآية: ٦.

(٦٨)

بشارة لمحبي أهل البيت عليهم السلام

دخل أبو بصير وآخرون على الإمام الصادق عليه السلام يوماً، فلما أخذوا مجالسهم، التفت أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي بصير وقال له: «يا أبا محمد! لقد ذكركم الله في القرآن إذ يقول:

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(١). والله ما أراد بهذا غيركم فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني. فقال: يا أبا محمد: لقد ذكركم الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّ عِبَادِيَ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ والله ما أراد بهذا إلا الأئمة عليهم السلام وشيعتهم فهل سررتك يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك زدني قال: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في

(١) - سورة الزمر، الآية: ٥٣.

الآية النبيون ونحن في هذا الموضع الصديقون والشهداء وأنتم
الصالحون فتسموا بالصلاح كما سماكم الله **عَبَّادًا** (١).



(١) - الشيعة في حديث الفريقين، السيد مرتضى الأبطحي، ص ٤٤٥،
٤٤٦. كذلك، تفسير البرهان، ج ٤، ص ٧٨، ج ٦ و٥.

(٦٩)

توبة شاب

دخل معاذ بن جبل على رسول الله ﷺ باكياً فسلم فرد ﷺ، ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟ فقال، يا رسول الله إن بالباب شاباً طري الجسد، نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك، فقال النبي ﷺ، أدخل عليّ الشاب يا معاذ، فأدخله عليه فسلم فرد ﷺ، ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟ قال، كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً إن أخذني الله ﷻ ببعضها أدخلني نار جهنم، ولا أراني إلا سيأخذني بها ولا يغفر لي أبداً، فقال رسول الله ﷺ: هل أشركت بالله شيئاً؟ قال: أعوذ بالله أن أشرك بربي شيئاً، قال: أقتلت النفس التي حرم الله؟ قال: لا، فقال النبي ﷺ: يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، قال: فإنها أعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق، فقال النبي ﷺ، يغفر الله لك ذنوبك وإن كانت مثل

السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي، قال: فإنّها أعظم
 من ذلك، قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان، ثمّ قال:
 ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك، فخر الشاب لوجهه
 وهو يقول: سبحان ربي ما شيء أعظم من ربي، ربي أعظم يا
 نبي الله من كل عظيم، فقال النبي ﷺ: فهل يغفر لك الذنب
 العظيم إلا الرب العظيم؟ فقال الشاب: لا والله يا رسول الله،
 ثمّ سكت الشاب، فقال له النبي ﷺ: ويحك يا شاب ألا
 تخبرني بذنوب واحد من ذنوبك، قال: بلى أخبرك، أنّي كنت
 أنبش القبور سبع سنين، أخرج الأموات وأنزع الأكفان،
 فماتت جارية من بعض بنات الأنصار فلما حملت إلى قبرها
 ودفنت وانصرف عنها أهلها وجنّ عليهم الليل، أتيت قبرها
 فنبشتها، ثمّ استخرجتها ونزعت ما كان عليها من أكفانها
 وتركتها مجردة على شفير قبرها، ومضيت منصرفا، فأتاني
 الشيطان فأقبل يزينها لي ويقول: أما ترى بطنها وبياضها؟ أما
 ترى وركيها؟ فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت إليها ولم
 أملك نفسي حتى جامعتها وتركتها مكانها، فإذا أنا بصوت من
 ورائي يقول: يا شاب ويل لك من ديان يوم الدين يوم يقفني
 وإياك كما تركتني عارية في عساكر الموتى، ونزعتني من
 حفرتي، وسلبتني أكفاني وتركنتني أقوم جنبه إلى حسابي فويل
 لشبابك من النار، فما أظن أنّي أشم ريح الجنة أبدا فما ترى

لي يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: تنح عني يا فاسق إني أخاف أن أحترق بنارك، فما أقربك من النار، ثم لم يزل ﷺ يقول ويشير إليه حتى أمعن من بين يديه، فذهب فأتى المدينة فتزود منها، ثم أتى بعض جبالها فتعبد فيها ولبس مسحاً وغل يديه جميعاً إلى عنقه ونادى يا رب هذا عبدك بهلول بين يدي مغلول، يا رب أنت الذي تعرفني وزل مني ما تعلم، يا سيدي يا رب إني أصبحت من النادمين وأتيت نبيك تائباً فطرطني وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك أن لا تخب رجائي سيدي، ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة، رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم ما فعلت في حاجتي إن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح إلى نبيك وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي وأردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً﴾ يعني الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ يعني ارتكاب ذنب أعظم من الزنا وهو نبش القبور وأخذ الأكفان: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ يقول: خافوا الله فعجلوا التوبة: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يقول ﷺ: أتاك عبد يا محمد تائباً

فطرده فأين يذهب، وإلى من يقصد، ومن يسأل أن يغفر له ذنبا غيري؟ ثم قال ﷺ: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَيَّ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ الأكفان ﴿أَوْلَيْتِكَ جَرَائِمُ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ خرج وهو يتلوها ويبتسم، فقال لأصحابه: من يدلني على ذلك الشاب التائب؟ فقال معاذ: يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبون الشاب، فإذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يده إلى عنقه، قد اسودَّ وجهه وتساقط أشفار عينيه من البكاء، وهو يقول: سيدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي فليت شعري ماذا تريد بي؟ أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكنني؟ اللهم إنك قد أكثرت الإحسان إليّ فأنعمت عليّ، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري؟ إلى الجنة تزفني أم إلى النار تسوقني؟ اللهم إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة، فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحشو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير وهم سيكون لبكائه، فدنا رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه،

ونفض التراب عن رأسه وقال يا بهلول: أبشر فإنك عتيق الله من النار، ثم قال ﷺ لأصحابه: هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ثم تلا ﷺ ما أنزل الله ﷻ فيه، وبشره بالجنة^(١).



(١) - تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٣٩١ - ٣٩٣.

(٧٠)

الثبات لأجل الهدف

بعد أن أظهر رسول الله ﷺ الدعوة، اجتمعت قريش إلى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سفه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرق جماعتنا، فإن كان الذي يحمله على ذلك العدم، جمعنا له مالا حتى يكون أغنى رجل في قريش، ونملكه علينا. فأخبر أبو طالب رسول الله ﷺ، فأجابه رسول الله ﷺ قائلا: «لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركته، ولكن كلمة يعطوني يملكون بها العرب وتدين بها العجم ويكونون ملوكاً في الجنة». فقال لهم أبو طالب ذلك، فقالوا: نعم وعشرة كلمات بدلا من واحدة، أي كلمة تقصد أنت؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله». فتضايقوا كثيرا عند سماعهم هذا الجواب، وقالوا: ندع ثلاث مائة وستين إلها ونعبد إلها واحدا؟ إنه لأمر عجيب؟ نعبد إلها واحدا لا يمكن مشاهدته ورؤيته.

وهنا نزلت هذه الآيات المباركة: ﴿وَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ اٰجَعَلِ الْاٰلِهَةَ اِلٰهًا وَّحٰدًا اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَاَنْطَلَقَ الْمَلَاُ مِنْهُمْ اَنْ اَمْشُوا وَاَصْبِرُوْا عَلٰٓى ءِالِهَتِكُمْ اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِى الْاٰلِهَةِ الْاٰخِرَةِ اِنَّ هٰذَا اِلَّا اَخْتِلٰقٌ ﴿٧﴾﴾^(١). هذا المعنى ورد أيضا في تفسير مجمع البيان مع اختلاف بسيط، إذ ذكر صاحب تفسير مجمع البيان في آخر الرواية أن رسول الله ﷺ استعبر بعد أن سمع جواب زعماء قريش وقال: «يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى أنفذه أو أقتل دونه» فقال له أبو طالب: امض لأمرك، فوالله لا أخذلك أبداً^(٢).



(١) - سورة ص، الآيات: ٤ - ٧.

(٢) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١٤، ص ٤٢٥ - ٤٥٣.

(٧١)

أكل لحم الميت

جاء في السيرة أن رجلين من أصحاب الرسول ﷺ بعثا الصحابي سلمان المحمدي إلى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه إلى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال: ما عندي شيء فعاد إليهما فقالا بخل أسامة، وقالا: لسلمان لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما، قالوا: يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية^(١): ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢).

(١) - مجمع البيان: ج ٩ - ١، ص ٢٠٣.

(٢) - سورة الحجرات، الآية: ١٢.

والمقصود من لحم الأخ هو هدر ماء وجهه في غيابه،
لأن غيبة الشخص في غيابه شبيهة بأكل لحم الميت، لأنّ
الميت لا يستطيع الدفاع عن نفسه كذلك الغائب.



(٧٢)

الاعتراف المنجي

عن أبي عبد الله عليه السلام: ما رد الله العذاب إلا عن قوم يونس، وكان يونس يدعو قومه إلى الإسلام فيأبون ذلك، فهم أن يدعو عليهم، وكان فيهم رجلان عابد وعالم، وكان اسم أحدهما مليخا والآخر روبيل، فكان العابد يشير على يونس عليه السلام بالدعاء عليهم، وكان العالم ينهاه ويقول: لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده، فقبل قول العابد ولم يقبل من العالم، فدعا عليهم، فأوحى الله إليه: أن يأتيهم العذاب في سنة كذا وكذا.

فلما قرب الوقت خرج يونس عليه السلام مع العابد وبقي العالم فيها. فلما كان في ذلك اليوم نزل العذاب، فقال العالم لهم: يا قوم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم فيرد العذاب عنكم، فقالوا: كيف نفعل؟ قال: اخرجوا إلى المفازة وفرقوا بين النساء والأولاد وبين الإبل وأولادها وبين البقر وأولادها وبين الغنم وأولادها ثم ابكوا وادعوا، فذهبوا وفعلوا ذلك وضجوا وبكوا،

فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال، وقد كان نزل وقرب منهم، فأقبل يونس عليه السلام لينظر كيف أهلكتهم الله فرأى الزارعين يزرعون في أرضهم، فقال لهم: ما فعل قوم يونس؟ فقالوا له ولم يعرفوه: أن يونس دعا عليهم، فاستجاب الله له ونزل العذاب عليهم، فاجتمعوا وبكوا، فدعوا فرحمهم الله وصرف ذلك عنهم وفرق العذاب على الجبال، فهم ذا يطلبون يونس عليه السلام ليؤمنوا به، فغضب يونس ومرّ على وجهه مغاضبا به، كما حكى الله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ حتى انتهى إلى ساحل البحر، فإذا سفينة قد شحنت وأرادوا أن يدفعوها، فسألهم يونس عليه السلام أن يحملوه، فحملوه، فلمّا توسط البحر، بعث الله حوتا عظيما، فحبس عليهم السفينة فنظر إليه يونس عليه السلام ففزع، فصار في مؤخرة السفينة، فدار إليه الحوت وفتح فاه، فخرج أهل السفينة فقالوا: فينا عاص، فتساهموا فخرج سهم يونس عليه السلام. وهو قول الله عز وجل: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومر في الماء، وكان يونس عليه السلام في بطن الحوت يسبح الله ويستغفره، فلما رأى يونس عليه السلام ذلك: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فاستجاب له وأمر الحوت فلفظته على ساحل البحر

وقد ذهب جلده ولحمه، وأُنبت الله شجرة من يقطين فأظلمت من الشمس فسكن. ولما استعاد يونس عليه السلام عافيته وردّ الله صحة بدنه رجع إلى قومه وآمنوا به.

المسألة المهمة التي أراد المولى عليه السلام أن يلفت بها انتباهنا هي أنّ الاعتراف بالتقصير والتسبيح الخالص المترافق مع الندم سبب لنجاة المؤمن من كل ضيق وجزع، والقرآن الكريم يقول:

﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّضُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

لكنّه في المقابل يوضح أيضاً: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَّيْتُ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾^(٢).

وهذا إنذار واضح للمؤمنين^(٣).



(١) - سورة الأنبياء، الآية: ٨٨.

(٢) - سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣ - ١٤٤.

(٣) - راجع قصص الأنبياء، الجزائري، ص ٤٨٤ - ٤٨٦.

(٧٣)

حارس النبي

كان أبو جهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه، فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده، فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده، فقال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأغشى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرههم حتى نادوه ما صنعت؟ فقال: ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهية الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني^(١).

وفي ذلك نزلت الآيات المباركات التالية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾^(٢).

(١) - مجمع البيان: ج ٨ - ٩، ص ٦٤٩.

(٢) - سورة يس، الآيات: ٨ - ٩.

(٧٤)

إحياء العظام الرميم

الله تعالى لم يترك وسيلة إلا وقدمها للإنسان في سبيل هدايته وإيمانه، وقد أعطى دلائل وبراهين لا تقبل الشك والإنكار في مسألة إثبات المعاد. من أهم هذه الدلائل خلقة الإنسان نفسه حيث يشير المولى تعالى إلى أن مبدأ خلقة الإنسان من التراب والطين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «جاء أبي بن خلف» وهو من المشركين فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتته ثم قال: يا محمد، إذا كنا عظاماً ورفاتاً أينا لمبعوثون خلقاً، فأنزل الله تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ (١).

(١) - تفسير نور الثقلين: ج ٤، ص ٣٩٤.

(٧٥)

عاقبة رفقة الضال

كان عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف وكانا متخالين، وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه وكان يكثُر مجالسة الرسول، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعا الناس، فدعا رسول الله ﷺ إلى طعامه، فلما قربوا الطعام، قال رسول الله ﷺ: ما أنا بأكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وبلغ ذلك أبي بن خلف، فقال صبات: يا عقبة قال: لا والله ما صبات ولكن دخل عليّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم، فقال أبيّ: ما كنت براص عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة وارتدّ وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال النبي ﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبراً، وأما أبيّ بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد بيده في المبارزة.

قال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فأحرق خديّه وكان أثر ذلك فيه حتى مات (١).

وقد نزلت فيهما الآيات التالية: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ (٢).



(١) - تفسير مجمع البيان: ٧ - ٨، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٢) - سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ - ٢٩.

(٧٦)

نقض بني قريظة للعهد

من أهم عوامل غزوة بني قريظة ومحاربتهم، أنهم شاركوا المشركين وساعدوهم في معركة الأحزاب ضد الرسول الأكرم ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ مع المسلمين عن الخندق، ووضع عنه اللّامة واغتسل واستحم تبدى له جبرائيل عليه السلام، فقال له: عذيرك من محارب ألا أراك قد وضعت عنك اللّامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله ﷺ فزعاً فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة، فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس، فقال بعضهم: أن رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله ﷺ فليس علينا إثم وصلّى طائفة من الناس احتساباً وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلّوها حين جاؤوا بني قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين، ثمّ أنّه بعث علياً بن أبي طالب عليه السلام على المقدم ودفع إليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى

يقف بهم على حصن بني قريظة، ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم، فمرّ على مجلس من الأنصار في بني غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا أنه قال: مرّ بكم الفارس آنفاً، فقالوا: مرّ بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: ليس ذلك بدحية ولكنّه جبرائيل عليه السلام أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب، قالوا: وسار علي عليه السلام حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: أظنك سمعت لي منهم أذى، فقال: نعم يا رسول الله، فقال: لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم، قال: يا إخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته؟ فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً، وحاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار وقذف في قلوبهم الرعب، وكان حبي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد: يا معشر (اليهود) قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنّي عارض عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا أيها شئتم، قالوا: ما هنّ؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدّقه فوالله لقد تبين لكم أنّه نبي

مرسل وأته الذي تجدونه في كتابكم فتأمّنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم، فقالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم عليّ هذا فهلّموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجلاً مصليين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلاً يهّمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهّمنا وإن ظهر لنجدنّ النساء والأبناء، فقالوا: نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم، قال: فإذا أبيتم عليّ هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فانزلوا فعلّنا نصيب منهم غرة، فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا فأصابهم ما قد علمت من المسخ، فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً. وقال رسول الله ﷺ حين سأله أن يحكم فيهم رجلاً: اختاروا من شئتم من أصحابي فاختراروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله ﷺ، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل في قبته وأمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا في دار أسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجاء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونسأؤهم وتغنم أموالهم وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار وقال للأنصار إنكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار، فكبر رسول الله ﷺ وقال لسعد: لقد

حكمت فيهم بحكم الله ﷻ وفي بعض الروايات لقد حكمت
 فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، وأرقعة: جمع رقيع اسم
 سماء الدنيا، فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم وكانوا فيما زعموا
 ست مائة مقاتل، وقيل قتل منهم أربع مائة وخمسين رجلاً
 وسبى سبعمائة وخمسين وروي أنهم قالوا لكعب بن أسد وهم
 يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ إرسالاً: يا كعب ما ترى يصنع
 بنا؟ فقال كعب: أفي كل موطن تقولون ألا ترون أن الداعي لا
 ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتي بحبي بن
 أخطب عدو الله عليه حلة فاخيتية قد شققها عليه من كل ناحية
 كموضع الأنملة لئلا يسلبها مجموعة يدها إلى عنقه بحبل، فلما
 بصر برسول الله ﷺ، فقال: أما والله ما لمت نفسي على
 عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل، ثم قال: أيها الناس إنه
 لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني إسرائيل
 ثم جلس فضرب عنقه، ثم قسم رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم
 وأموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد
 بن زيد الأنصاري فابتاع بهم خيلاً وسلاحاً، قالوا: فلما انقضى
 شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله ﷺ
 إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد. وروي عن جابر بن
 عبد الله، قال: جاء جبرائيل ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فقال:
 من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له أبواب السماء

وتحرّك له العرش؟ فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ قد قبض (١).

وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ (٢).



(١) - تفسير مجمع البيان: ٧ - ٨، ص ٥٥١ - ٥٥٣.

(٢) - سورة الأحزاب، الآية: ٢٦.

(٧٧)

أبواب الخير

عن معاذ بن جبل، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحرّ فتفرق القوم، فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني فدنوت منه، فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان، قال: وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير، قال: قلت: أجل يا رسول الله، قال: الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يتغي وجهه الله، ثم قرأ هذه الآية: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(١). وعن بلال، قال: قال رسول الله ﷺ

(١) - سورة السجدة، الآية: ١٦.

عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وإن قيام الليل قربة
إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطرده الداء عن
الجسد^(١).



(١) - تفسير البيان: ٧ - ٨، ص ٥١٧ - ٥١٨.

(٧٨)

تابوت بني إسرائيل

مما لا شك فيه أنّ الانتصار على العدو بحاجة إلى قائد عادل وشجاع وعالم، كذلك فإنّ من أهم عوامل النصر طاعة الناس والتفافهم حول القائد وتضحيتهم في سبيل قضايهم.

عن الباقر عليه السلام أنّ بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام عملوا بالمعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه، وروي أنّه ارميا النبي فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط فأذاهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم ففزعوا إلى نبيهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت والملك والسلطان في بيت آخر ولم يجمع الله لهم النبوة والملك في بيت واحد فمن ذلك قالوا: ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله، فقال لهم نبيهم: هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا، قالوا: وما لنا ألا

نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا وكان كما قال الله تعالى، فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم، وقال لهم نبيهم: إن الله ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وكانت النبوة في ولد لاوي والملك في ولد يوسف عليه السلام وكان طالوت من ولد ابن يامين أخي يوسف عليه السلام لأمه ولم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة، قال لهم نبيهم: إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وكان أعظمهم جسما وكان شجاعا قويا وكان أعلمهم إلا أنه كان فقيرا فعابوه بالفقر، فقالوا: لم يؤت سعة من المال. وقال لهم نبيهم: إن الله يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون عليهم السلام تحمله الملائكة، قال عليه السلام: وكان التابوت الذي أنزله الله على موسى عليه السلام فوضعت فيه أمه فألقته في اليم وكان في بني إسرائيل يتبركون به، فلما حضر موسى عليه السلام الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه فلم يزل التابوت بينهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوا النبي وبعث الله طالوت إليهم ملكا يقاتل معهم رد الله عليهم التابوت كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ

مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ
الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾

لقد كان بنو إسرائيل يحترمون التابوت ويقدّسونه، ويعظمونه ما دام بينهم لكن لما عصوا وأظهروا عدم الاحترام للتابوت، بحيث صار الأولاد يلعبون به في الطرقات والأزقة رفعه الله من بينهم، حتى رجعوا إلى نبيهم فأطاعوه وطلبوا منهم أن يقاتلوا تحت راية ملك يبعثه الله تعالى إليهم، فأنزل الله تعالى التابوت فيه سكينه لهم، وذلك بالشروط التي وردت في القصة القرآنية.



(١) - تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج١، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٧٩)

بشارة للمستضعفين

إنَّ اللهَ تعالى قد وعد المؤمنين والمستضعفين أن يرثوا الأرض ويحكموها، فينتصر الحق على الباطل بإرادة المؤمنين وتوفيق المولى عزَّ وجل وتقام دولة الحق والعدالة الإلهية على الأرض، كما حصل لجزء منها في بداية الدعوة المحمدية ﷺ حيث فتح الله سبحانه على أيدي المسلمين المؤمنين الفقراء في صدر الإسلام أبواب قصور الأكاسرة والقيصرة، وأنزلهم من أسرة الحكم والقدرة وأرغم أنوفهم بالتراب. والمثل الأكبر والأوسع هو ظهور حكومة الحق والعدالة على جميع وجه البسيطة - والكرة الأرضية - على يد «المهدي (عجل الله فرجه)» أرواحنا له الفداء.

هذه الآيات هي من جملة الآيات التي تبشر - بجلاء - بظهور مثل هذه الحكومة: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (١).

(١) - سورة القصص، الآية: ٥.

ونقرأ عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية أنها إشارة إلى هذا الظهور العظيم. فقد ورد في نهج البلاغة عن علي عليه السلام قوله: «لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ﴾».

وفي حديث آخر نقرأ عنه عليه السلام في تفسير الآية المتقدمة قوله: «هم آل محمد عليهم السلام يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل عدوهم». ونقرأ في حديث آخر عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام قوله: «والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا، إن الأبرياء منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه» (أي سننتصر أخيرا وينهزم أعداؤنا وتعود حكومة العدل والحق لنا). ومن الطبيعي أن حكومة المهدي (عج) العالمية في آخر الأمر لا تمنع من وجود حكومات إسلامية في معايير محدودة قبلها من قبل المستضعفين ضد المستكبرين، ومتى ما تمت الظروف والشروط لمثل هذه الحكومات الإسلامية فإن وعد الله المحتموم والمشيتة الإلهية سيتحققان في شأنها، ولا بد أن يكون النصر حليفها بإذن الله^(١).

(١) - تفسير الأمل: ج ١٢ - ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٨٠)

جزاء من يسأل عن حال قومه

كان سبب هلاك قارون أنه لما أخرج موسى عليه السلام بني إسرائيل من مصر وأنزلهم البادية، أنزل الله عليهم المن والسلوى وانفجر لهم من الحجر اثنتا عشرة عينا، بطروا وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، قال لهم موسى عليه السلام: ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْفَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ﴾، فقالوا كما حكى الله تعالى: أن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، ثم قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾، ففرض الله عليهم دخولها وحرمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فكانوا يقومون من أول الليل ويأخذون في قراءة التوراة والدعاء والبكاء وكان قارون منهم وكان يقرأ التوراة ولم يكن فيهم أحسن صوتا منه وكان يسمى

المنون لحسن قراءته وقد كان يعمل الكيمياء ، فلما طال الأمر على بني إسرائيل في التيه والتوبة وكان قارون قد امتنع من الدخول معهم في التوبة وكان موسى ﷺ يحبه فدخل عليه موسى ﷺ ، فقال: يا قارون قومك في التوبة وأنت قاعد هاهنا ادخل معهم وإلا نزل بك العذاب، فاستهان به واستهزأ بقوله فخرج موسى ﷺ من عنده مغتما فجلس في فناء قصره وعليه جبة شعر ونعلان من جلد حمار شراكهما من خيوط شعر بيده العصا، فأمر قارون أن يصب عليه رمادا قد خلط بالماء، فصب عليه فغضب موسى ﷺ غضبا شديدا وكان في كتفه شعرات كان إذا غضب خرجت من ثيابه وقطر منها الدم، فقال موسى ﷺ: يا رب إن لم تغضب لي فلست لك بنبي، فأوحى الله إليه قد أمرت السماوات والأرض أن تطيعك فمرها بما شئت وقد كان قارون قد أمر أن يغلق باب القصر، فأقبل موسى ﷺ فأومأ إلى الأبواب فانفجرت ودخل عليه، فلما نظر إليه قارون علم أنه قد أوتي، فقال: يا موسى أسالك بالرحم الذي بيني وبينك، فقال له موسى يا بن لاوي لا تزدني من كلامك! يا أرض خذيه، فدخل القصر بما فيه في الأرض ودخل قارون في الأرض إلى ركبته، فبكى وحلفه بالرحم، فقال له موسى ﷺ: يا بن لاوي لا تزدني من كلامك، يا أرض خذيه وابتلعيه بقصره وخزائنه^(١).

(١) - تفسير القمي: ج ٢، ص ١٤٤ - ١٤٥.

فلما هلك قارون ووكل الله تعالى به ملكا يدخله في الأرض كل يوم قامة رجل، وكان يونس عليه السلام في بطن الحوت يسبح الله تعالى ويستغفره فسمع قارون صوته، فقال للملك الموكل به: انظرني أسمع كلام آدمي، فأوحى الله إلى الملك: أنظره، فأنظره. ثم قال قارون: من أنت؟ قال يونس عليه السلام: أنا المذنب الخاطيء يونس بن متى، قال: فما فعل شديد الغضب (في أ) لله في موسى بن عمران؟ قال: هيهات هلك، قال: فما فعل الرؤوف الرحيم على قومه هارون بن عمران؟ قال: هلك، قال: فما فعلت كلثم بنت عمران التي كانت سميت لي؟ قال: هيهات ما بقي من آل عمران أحد، قال قارون: وأأسفاه على آل عمران، فشكر الله له ذلك فأمر الله الملك الموكل به أن يرفع عنه العذاب أيام الدنيا؟ فرفع عنه. فلما رأى يونس عليه السلام ذلك: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فاستجاب له وأمر الحوت فلفظه على ساحل البحر وقد ذهب جلده ولحمه، وأنبت الله شجرة من يقطين فأظلمت من الشمس فسكن، ثم أمر الله الشجرة فتنحت عنه ووقعت الشمس عليه فجزع^(١).

(١) - قصص الأنبياء: الجزائري، ص ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٨١)

داوود وجالوت

لما بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت، أوحى الله سبحانه إلى نبيّ بني إسرائيل أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى ﷺ، فبعث طالوت إلى أشي - وكان أشي (أو آسي) راعياً وكان له عشر بنين أصغرهم داوود ﷺ - أن احضر وأحضر ولدك فلما حضروا دعا واحداً بعد واحد من ولده فألبسه درع موسى ﷺ فمنهم من طالت عليه ومنهم من قصرت عنه، فقال: لأشي، فهل خلفت من ولدك أحدا؟ قال نعم أصغرهم تركته في الغنم راعياً فبعث إليه فجاء به، فلما دعاه أقبل ومعه مقلع، قال: فنادته ثلاث صخرات في طريقه، فقالت: يا داوود خذنا فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش قويا في بدنه شجاعا، فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى ﷺ فاستوت عليه.

ولما دخل داوود العسكر سمعهم يعظمون أمر جالوت، فقال لهم: ما تعظمون من أمره؟ فوالله لئن عاينته لأقتلنه،

فتحدثوا بخبره حتى أدخل على طالوت، فقال: يا فتى وما عندك من القوة وما جربت من نفسك، قال: كان الأسد يعدو على شاة من غنمي فأدركه فأخذ برأسه فأفك لحييه منها فأخذها من فيه.

وفصل طالوت بالجنود، وقال لهم نبيهم: يا بني إسرائيل ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ في هذه المفازة فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب فهو من حزب الله إلا من اغترف غرفة بيده، فلما وردوا النهر أطلق الله تعالى لهم أن يغترف كل واحد منهم غرفة: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾، فالذين شربوا كانوا ستين ألفا وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله ﷻ.

عن الصادق ﷺ أنه قال: القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا، فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت، قال الذين شربوا منه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ وقال الذين لم يشربوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، فجاء داوود ﷺ فوقف بحذاء جالوت وكان جالوت، على الفيل وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوتة يلعب نورها وجنوده بين يديه، فأخذ داوود ﷺ من تلك الأحجار حجرا فرمى به ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم

فانهزموا، وأخذ حجرا آخر فرمى به ميسرة جالوت فانهزموا، فرمى جالوت بحجر فصك الياقوتة في جبهته ووصلت إلى دماغه ووقع على الأرض ميتاً^(١).

وهو قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).



(١) - تفسير الصافي: ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

(١٨٢)

غسيل الملائكة

كانت ليلة حبلى بالوقائع والحوادث، وكانت حمراء غبراء على المسلمين، تطلب الدماء وأي دماء، دماء مثل دماء سيد الشهداء حمزة عم الرسول ﷺ، دماء نزت من ثغر حبيب الله ﷺ.

إنها الليلة التي كان في صبيحتها حرب أحد، حيث جمع النبي ﷺ أصحابه وجلسوا يتشاورون في شأن المعركة التي خلفت سبعين شهيداً من المسلمين وأدخلت الحزن والعزاء إلى كل بيت في المدينة.

في تلك الليلة جاء حنظلة بن أبي عياش إلى رسول الرحمة ﷺ فاستأذنه أن يقيم عند أهله، وذلك أنه تزوج في تلك الليلة، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَاِذَا

أَسْتَأْذِنُكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١) فأقام عند أهله ثم أصبح وهو جنب
فحضر القتال في أحد واستشهد فقال رسول الله ﷺ: «رأيت
الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن في صحائف فضة بين السماء
والأرض فكان» «غسيل الملائكة»^(٢).



(١) - سورة النور، الآية: ٦٢.

(٢) - تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٦٢٨.

(١٨٣)

عفاف العين

من الصفات التي مدحها القرآن الكريم والتي يجب أن يتحلى بها كل رجل وامرأة العفة والطهارة، ومن أنواع العفة أن الله تعالى قد أمر الرجال والنساء أن يَغْضُوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ.

عن أبي عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها، وفرقه فيها: وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه، وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له، وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾، فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها وقال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر.

في جوامع الجامع وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنت عند النبي ﷺ وعنده ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فقال: احتجبا فقلنا: يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا؟ فقال: أفعميا وان أنتما، أألستما تبصرانه؟.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة وكان النساء يتقنعن خلف آذانهن، فنظر إليها وهي مقبلة، فلما جازت نظر إليها ودخل في زقاق، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشق وجهه، فلما مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدرة، فقال: والله لآتين رسول الله ﷺ ولأخبرنه، قال: فأتاه، فلما رآه رسول الله ﷺ قال له: ما هذا؟ فأخبره، فهبط جبرائيل عليه السلام بهذه الآية^(١): ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٢).



(١) - تفسير نور الثقلين: ج ٣ - ص ٥٨٨.

(٢) - سورة النور، الآية: ٣٠.

(١٨٤)

امتحان أهل البيت عليهم السلام

عن موسى بن جعفر، عن أبيه صلوات الله عليهما قال:
جمع رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة
والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم وأغلق عليه وعليهم
الباب وقال: يا أهلي وأهل الله إن الله ﷻ يقرأ عليكم السلام
وهذا جبرائيل معكم في البيت يقول: إنني قد جعلت عدوكم لكم
فتنة، فما تقولون؟ قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله وما نزل من
قضائه، حتى نقدم على الله ﷻ ونستكمل جزيل ثوابه، فقد سمعناه
يعد الصابرين بالخير كله، فبكى رسول الله ﷺ حتى سمع نحيبه
من خارج البيت فنزلت الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا
إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾^(١)، إنهم سيصبرون أي
سيصبرون كما قالوا صلوات الله عليهم^(٢).

(١) - سورة الفرقان، الآية: ٢٠.

(٢) - مستدرک سفینه البحار، الشیخ علی النمازی الشاهرودی، ج ٦، ص ١٦٢.

(١٥)

ذريعة النفاق

خرجت قريش والعرب ممن تحزبوا ضد رسول الله ﷺ فتجمعوا سنة خمس من الهجرة وساروا إلى العرب واستنفروهم لحرب رسول الله ﷺ فوافوا في عشرة آلاف، فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة ابن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحارث بن عوف في بني مرة ومسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من الأشجع وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل طليحة فيمن اتبعه من بني أسد وهما حليفان أسد وغطفان وكتبت قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل أبو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مددا لقريش. فلما علم ذلك رسول الله ﷺ ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار إليه سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ وهو يومئذ حر. قال: يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون حتى أحكموه.

ومما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال: حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعاً بين عشرة فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قويا فقال الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال رسول الله ﷺ: سلمان منا أهل البيت.

قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الأنصار نقطع أربعين ذراعاً، فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيه بأمره فإننا لا نحب أن نجاوز خطه، فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة، وهو مضروب عليه قبة فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحكّ فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق وأخذ المعول وضرب بها ضربة فلمعت منها برقة أضاعت ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة حتى لكان مصباحاً في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة

فتح فكبر المسلمون، ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت برقة أخرى، ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة أخرى. فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي أرى؟ فقال: أما الأولى فإنَّ الله ﷻ فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإنَّ الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإنَّ الله فتح عليَّ بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا: الحمد لله موعد صادق.

قال: وطلعت الأحزاب، فقال المؤمنون: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله، وقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر في يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا^(١).

فنزلت الآية الشريفة تتحدث عن تلك الواقعة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٢).



(١) - تفسير الميزان، ج١٦، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٢) - سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٨٦)

إذن دخول الأب

جميع القوانين الاجتماعية تؤكد على طلب الإذن قبل دخول بيوت الآخرين، فإذا لم يحرز الشخص إذنا بالدخول ودخل يُعد ذلك تجاوزاً وتعدياً على حقوق الآخرين.

والإسلام بتعاليمه السامية والمتقدمة يؤكد على مسألة إحراز الإذن بالدخول بشكل كبير، ومن دقة الإسلام في هذه المسألة أنه يطلب من الأشخاص أن لا يدخلوا من غير إذن حتى على الآباء والأمهات والأبناء.

روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أستاذن على أمي؟ فقال: نعم، قال: إنَّها ليس لها خادم غيري أفأستاذن عليها كلما دخلت؟ قال: أتحب أن تراها عريانة؟ قال الرجل: لا، قال: فأستاذن عليها.

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: خرج رسول الله ﷺ يريد فاطمة ؓ وأنا معه: فلما انتهينا إلى الباب وضع

يده فدفعه ثم قال: السلام عليكم، فقالت فاطمة عليها السلام: عليك السلام يا رسول الله، قال: ادخل؟ قالت: ادخل يا رسول الله، قال: ادخل أنا ومن معي؟ قالت: يا رسول الله ليس عليّ قناع، فقال: يا فاطمة خذي فضل ملحفتك، فقنعي به رأسك ففعلت، ثم قال: السلام عليكم، فقالت: وعليك السلام يا رسول الله، قال: ادخل؟ قالت: نعم يا رسول الله، قال: أنا ومن معي؟ قالت: ومن معك، قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت أنا فإذا وجه فاطمة عليها السلام أصفر كأنه بطن جرادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لي أرى وجهك أصفر؟ قالت: يا رسول الله الجوع فقال صلى الله عليه وسلم: اللهم مشبع الجوعة ودافع (ورافع) الضيعة أشبع فاطمة بنت محمد، قال جابر: فوالله لنظرت إلى الدم ينحدر من قصصها حتى عاد وجهها أحمر، فما جاءت بعد ذلك اليوم^(١).



(١) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٨٦ - ٥٨٧.

(٨٧)

جَنَّةُ الْمُطِيعِينَ لَا الْآبَاءِ

يقول طاووس الفقيه: رأيت الإمام زين العابدين عليه السلام في الكعبة يطوف من العشاء إلى السحر ويتعبد، فلما لم ير أحدا رمق إلى السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سمواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه محمد صلى الله عليه وآله في عرصات القيامة، ثم بكى وقال: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به عليّ، فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أعتصم إن قطعت حبلك عني؟ فواسواتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفين: جوزوا، وللمثقلين: حطوا، أمع المخفين أجوز؟ أم مع المثقلين أخط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن أستحي من ربي؟! ثم بكى وأنشأ يقول: أتحرقتني بالنار يا غاية المنى فأين رجائي ثم

أين محبتي أتيت بأعمال قباح ردية (زرية) وما في الورى خلقى
 جنى كجنايتي ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى،
 وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن
 لك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم، ثم خر إلى
 الأرض ساجداً قال طاووس: فدنوت منه وشلت رأسه فوضعتة
 على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده، فاستوى
 جالسا وقال: من الذي أشغلني عن ذكر ربي؟ فقلت له: أنا
 طاووس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا
 أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون؟ أبوك الحسين بن علي
 وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله! قال: فالتفت إليّ
 وقال: هيهات هيهات يا (طاووس)، دع عني حديث أبي وأمي
 وجددي، خلق الله الجنة لمن أطاع وأحسن ولو كان عبداً
 حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولدا قرشياً، أما
 سمعت قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ
 يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)، والله لا ينفعك غدا إلا تقدمة تقدمها
 من عمل صالح^(٢).

(١) - سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

(٢) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٥٦٣ - ٥٦٤.

(٨٨)

بيوت الوحي

جلس قتادة (فقيه أهل البصرة) يوماً في مجلس في حضور الإمام أبي جعفر الصادق عليه السلام، فقال أبو جعفر عليه السلام لقتادة: من أنت؟ قال: أنا قتادة ابن دعامة البصري، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «أنت فقيه أهل البصرة؟» قال: نعم. فقال له أبو جعفر: «ويحك يا قتادة، إنَّ الله ﷻ خلق خلقاً من خلقه، فجعلهم حججا على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قوام بأمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه» قال: فسكت قتادة طويلاً، ثمَّ قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك، فقال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك أتدري أين أنت؟ بين يدي: ﴿...بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رَجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحِزَّةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يُخَافُونَ يَوْمًا

نَنْقَلِبُ فِيهِ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ ﴿٣٧﴾ (١). ونحن أولئك فقال له
قتادة: صدقت والله، جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة
ولا طين (٢).



(١) - سورة النور، الآيتان: ٣٦ - ٣٧.
(٢) - تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٦٠٩ - ٦١٠.

(٨٩)

البحث عن كيس الخييش في الصلاة

لقد جعل المولى تعالى قمة النصر الحقيقي في الفلاح والفوز بثواب الله سبحانه والإيمان بوحدانيته حيث قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ثم وصف المؤمنين بأوصاف فقال: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ أي خاضعون، متواضعون، متذللون، لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم، ولا يلتفتون يمينا ولا شمالاً.

روي أن النبي ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته، فقال: «أما إنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه!» وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب والجوارح. فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها، والإعراض عما سواها، فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود. وأما بالجوارح فهو غض البصر، والإقبال عليها، وترك الالتفات والعبث^(١).

(١) - تفسير البيان: ج٧، ص ١٧٦.

ينقل الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسير سورة (المؤمنون) الآية الثانية فيقول: «كان أبو العباس الجواليقي خيَّاشاً يبيع أكياس الخيش، أعطى يوماً أحدهم كيس خيش ثم نسي ذلك الشخص، ولم يعد يتذكره، في أحد الأيام وبينما كان يصلي تذكر الشخص الذي أعطاه كيس الخيش، عندها رجع إلى دكانه وقال لصبيّه: لقد تذكرت لمن أعطيت كيس الخيش، نعم إنّه فلان.

فقال الصبي لمعلمه: وكيف تذكرته؟

قال: أثناء الصلاة.

فقال الصبي: أيها المعلم، كنت تصلي، أم كنت تبحث عن كيس الخيش؟ عند ذلك رجع أبو العباس إلى نفسه وأدرك جهله، فترك عمله وراح يطلب العلم، فأصبح فيما بعد مفسراً للقرآن الكريم^(١).



(١) - راجع: روح الجنان، ص٨، ص ١٢٤.

(٩٠)

دعوة عامة

يستفاد من الآيات والروايات أن الكعبة المشرفة كانت موجودة منذ آدم عليه السلام، ثم خربت بعد طوفان نبي الله نوح عليه السلام ورفعت إلى السماء، ثم أمر المولى تعالى إبراهيم بنائها من جديد.

لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، أمره الله سبحانه أن يؤذن في الناس بالحج، فقال: يا رب، ما يبلغ صوتي؟ فقال الله: إذن، عليك الأذان وعليّ البلاغ، وارتفع على المقام وهو يومئذ ملصق بالبيت، فارتفع به المقام حتى كأنه أطول من الجبال، فنادى وأدخل إصبعه في أذنه، وأقبل بوجهه شرقا وغربا، يقول: «أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيئوا ربكم» فأجابوه من تحت البحور السبعة، ومن بين المشرق والمغرب، إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها، ومن أصلاب الرجال، ومن أرحام النساء بالتلبية: لبيك اللهم لبيك،

أولا ترونهم يأتون يلبون؟ فمن حج من يومئذ إلى يوم القيامة
فهم ممن استجاب الله، وذلك قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ
إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني نداء إبراهيم على المقام بالحج^(١).



(١) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤٨٨.

(٩١)

جزاء محبي علي عليه السلام

إن نجاة البشرية من العذاب والشدائد يوم القيامة مرتبط بطاعة الأوامر الإلهية، والطاعة توجب الجزاء الذي يستحقه البشر، لكن بشرطها وشروطها، ومن شروط الطاعة طاعة الرسل وأئمة العدل الذين اختارهم الله تعالى لهذا المنصب، وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام.

بناء عليه فإن طاعة الإمام المعصوم العادل توجب الفوز والفلاح يوم القيامة، وهذا ما ينطبق على إطاعة الإمام علي عليه السلام وأبنائه المعصومين من بعده.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يبعث الله شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب وعيوب مبيضة مسفرة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعتهم، قد سهلت لهم الموارد، وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقا من ياقوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنة، عليهم شرك من نور يتلألأ، توضع لهم الموائد، فلا

يزالون يطعمون والناس في الحساب، هو قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (١).

عن النبي الأكرم ﷺ في حديث طويل وفيه يقول لعلي عليه السلام: يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش، يفرع الناس ولا تفرعون، ويحزن الناس ولا تحزنون. فيكم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ وفيكم نزلت: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنُلْقَاهُمُ الْمَلَكَةَ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ (٢)(٣).



-
- (١) - البرهان في تفسير القرآن: ج ٩ ص ٢٢٢. سورة الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢.
 (٢) - سورة الأنبياء، الآية: ١٠٣.
 (٣) - تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٤٦٠.

(٩٢)

المقيمون الصامتون

ذكر المولى تعالى عالم البرزخ في سورة (المؤمنون)
فقال: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ
وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(١)، وقد عبّر عن البرزخ في
الروايات بعالم القبر وعالم الأرواح وعالم المثال، وهو كما
قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: «البرزخ القبر وهو الثواب
والعقاب بين الدنيا والآخرة»، وقال الامام علي بن
الحسين عليه السلام: «إن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة
من حفر النار». وقال عليه السلام: «أشد ساعات ابن آدم ثلاث
ساعات: الساعة التي يعاين فيها ملك الموت، والساعة التي
يقوم فيها من قبره، والساعة التي يقوم فيها بين يدي الله، فإما
إلى الجنة وإما إلى النار، ثم قال: إن نجوت يا ابن آدم عند
الموت فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت يا ابن آدم حين

(١) - سورة المؤمنون، الآية: ١٠٠.

توضع في قبرك فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت حين تحمل
الناس على الصراط فأنت أنت وإلا هلكت، وإن نجوت يا ابن
آدم حين تقوم لرب العالمين فأنت أنت وإلا هلكت، ثم تلا:
﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقال: هو القبر، وإن لهم فيه
لمعيشة ضنكا، والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة
من حفر النار^(١)».

وقال الامام علي عليه السلام وقد رجع من صفين فأشرف على
القبور بظاهر الكوفة: «يا أهل الديار الموحشة والمحال
المقفرة، والقبور المظلمة. يا أهل التربة، يا أهل الغربية، يا
أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع
لاحق، أما الدور فقد سكنت، وأما الأزواج فقد نكحت، وأما
الأموال فقد قسمت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ (ثم
التفت إلى أصحابه فقال): أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم
أن خير الزاد التقوى»^(٢).

يقول الأصبغ بن نباته: خرج أمير المؤمنين عليه السلام من
الكوفة يوماً، ومرّ حتى أتى الغريين فجاره، فلحقناه وهو مستلق
على الأرض بجسده، ليس تحته ثوب. فقال له: قنبر: يا أمير

(١) - تفسير نور الثقلين: ج ٣، ص ٥٥٣.

(٢) - نهج البلاغة: خطب الإمام علي (ع)، ج ٤، ص ٣٠ - ٣١.

المؤمنين ألا أبسط ثوبي تحتك؟ قال: لا، هل هي إلا تربة مؤمن أو مزاحمته في مجلسه؟ قال الأصبع: فقلت: يا أمير المؤمنين، تربة مؤمن قد عرفناه كانت أو تكون. فما مزاحمته في مجلسه؟ فقال: «يا ابن نباة، لو كشف لكم لرأيتم (لألفيتم) أرواحاً في هذا الظهر حلقا يتزاورون ويتحدثون، إن في هذا الظهر روح كل مؤمن، وبوادي برهوت نسمة كل كافر^(١)».



(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٠، ص ٥١٠.

(٩٣)

حطب جهنم

كانت قريش تعبد الأصنام المصنوعة من الخشب والحجارة والتمر وقد وصل عدد الأصنام التي كانوا يتعبدونها إلى «٣٦٠ صنماً» وقد نصبت في أطراف الكعبة وحولها، فلما نزلت الآية المباركة: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾^(١)، غضب أهل مكة ووجدوا منها جداً شديداً، فدخل عليهم عبد الله بن الزبيري وكفار قريش يخوضون في هذه الآية، فقال ابن الزبيري: أمحمد تكلم بهذه الآية؟ فقالوا: نعم، قال ابن الزبيري: لئن اعترف بها لأخصمنه، فجمع بينهما فقال: يا محمد أرأيت الآية التي قرأت أنفاً فينا وفي آلهتنا خاصة أم الأمم (الماضية) وآلهتهم؟ فقال ﷺ: بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم الماضية، إلا من استثنى الله فقال ابن الزبيري: خصمتك والله ألت تثنى

(١) - سورة الأنبياء، الآية: ٩٨.

على عيسى خيراً وقد عرفت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفة من الناس يعبدون الملائكة؟ أفليس هؤلاء مع الآلهة في النار؟ فقال رسول الله ﷺ: لا، فضحكت قريش وضحك، وقالت قريش: خصمك ابن الزبيري، فقال رسول الله ﷺ: قاتم الباطل أما قلت: إلا من استثنى الله وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾، وقوله: ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: يقذفون فيها قذفاً وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ يعني الملائكة وعيسى بن مريم ﷺ^(١).



(١) - تفسير القمي: ج ٢٠، ص ١٠.

الصبي الحكيم

خلق الله سبحانه السموات والأرض وما فيهما وجعل لكل شيء نظاماً خاصاً وقدرًا محتوماً، وهذا الأمر ينطبق على الإنسان أيضاً، فالرشد الجسماني والروحي للإنسان يسير على أساس القوانين الطبيعية التي وضعها خالق هذا الإنسان «الله المولى ﷺ»، لكن هذه القوانين والأنظمة ليست مانعاً لإرادة الله سبحانه إذا أراد شيئاً غير الذي يكون إرادته سبحانه وتعالى فوق كل شيء، خصوصاً إذا تعلق الأمر بالمعجزات الخارقة للقوانين الطبيعية، من أجل هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم، فنطق عيسى بن مريم ﷺ إنما كان معجزة خارقة لنظام النطق عند البشر، كذلك حكم النبوة والحكمة لنبي الله يحيى وهو صبي وكل ذلك بمشيئة المولى وإرادته.

يقول علي بن أسباط: رأيت أبا جعفر ﷺ وقد خرج علي فأجدت النظر إليه وجعلت أنظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر، فبينما أنا كذلك حتى قعد فقال: يا علي إن الله احتج في الإمامة بمثل ما احتج به في النبوة، فقال:

﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي، ويجوز أن يؤتى الحكمة وهو ابن أربعين سنة.

وعن الامام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، قال: ما للعب خلقنا فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

وعن الحسين بن علي عليه السلام قال: إن يهوديا من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام: فهذا يحيى بن زكريا يقال: إنه أوتي الحكم صبيا والحلم والفهم، وأنه كان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم؟ قال له علي عليه السلام لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أعطي ما هو أفضل من هذا، إن يحيى بن زكريا كان في عصر لا أوثان فيه ولا جاهلية، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أوتي الحكم والفهم صبيا بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، فلم يرغب لهم في صنم قط ولم ينشط لأعيادهم، ولم ير منه كذب قط صلى الله عليه وآله وسلم، وكان أمينا، صدوقا، حليما، وكان يواصل الصوم الأسبوع والأقل والأكثر، فيقال له في ذلك، فيقول: إنني لست كأحدكم، إنني أظل عند ربي فيطعمني ويسقني، وكان يبكي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يبتل مصلاه خشية من الله تعالى من غير جرم، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة^(١).

(١) - تفسير نور الثقلين: ج ٣ - ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٩٥)

إخراج إبراهيم عليه السلام

لما رأى إبراهيم عليه السلام من أمر عبادة النمرود وآزر وقومهما للأصنام وعدم الإيمان بالله تعالى الواحد صمم أن يحطم أصنامهم، فعمد إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم فكان يدنو من صنم صنم، ويقول له: كل وتكلم فإذا لم يجبه، أخذ القدم فكسر يده ورجله حتى فعل ذلك بجميع الأصنام، ثم علق القدم في عنق الكبير منهم الذي كان في الصدر، فلما رجع الملك ومن معه من العيد نظروا إلى الأصنام مكسرة فقالوا:

﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٩) **قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾**، وهو ابن آزر فجاؤوا به إلى نمرود، فقال نمرود لآزر: خنتني وكتمت هذا الولد عني، فقال: أيها الملك هذا عمل أمه وذكرت أنني أتقوم بحجته، فدعا نمرود أم إبراهيم عليه السلام فقال: ما حملك على أن كتمتي أمر هذا الغلام حتى فعل بآلهتنا ما فعل؟ فقالت: أيها الملك نظرا مني لرعيتهك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: رأيتك تقتل أولاد

رعيته فكان يذهب النسل، فقلت: إن كان هذا الذي تطلبه دفعته إليك لتقتله وتكف عن قتل أولاد الناس وإن لم يكن ذلك بقي لنا ولدنا وقد ظفرت به فشأنك، فكف عن أولاد الناس، فصوّب رأيها، ثم قال لإبراهيم عليه السلام: من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال إبراهيم: ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَكُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾، فقال الصادق عليه السلام: والله ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم، فقيل «وكيف ذلك؟ قال: إنما فعله كبيرهم هذا إن نطق وإن لم ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً، فاستشار نمرود قومه في إبراهيم: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾... فحبس إبراهيم عليه السلام وجمع له الحطب حتى إذا كان اليوم الذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار برز نمرود وجنوده وقد كان بنى لنمرود بناء لينظر منه إلى إبراهيم كيف تأخذه النار، فجاء إبليس واتخذ لهم المنجنيق لأنه لم يقدر واحد أن يقرب من تلك النار عن غلوة سهم وكان الطائر من مسيرة فرسخ يرجع عنها أن يتقارب من النار، وكان الطائر إذا مر في الهواء يحترق فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وجاء أبوه فلطمه لطمه، وقال له: ارجع عما أنت عليه».

وأنزل الرب سبحانه ملائكته إلى السماء الدنيا ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربه، وقالت الأرض: يا رب ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق، وقالت الملائكة: يا رب خليلك

إبراهيم يحرق، فقال الله ﷻ: أما أنه إن دعاني كفيته؟ وقال جبرائيل عليه السلام: يا رب خليلك إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره، سلطت عليه عدوه يحرقه بالنار، فقال: اسكت إنما يقول هذا عبد مثلك يخاف الفوت هو عبدي آخذه إذا شئت فإن دعاني أجبتة، فدعا إبراهيم عليه السلام ربه بسورة الإخلاص «يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد نجني من النار برحمتك» فالتقى معه جبرائيل في الهواء وقد وضع في المنجنيق، فقال: يا إبراهيم هل لك إلي من حاجة؟ فقال إبراهيم: أما إليك فلا، وأما إلى رب العالمين فنعم، فدفع إليه خاتما عليه مكتوب لا إله الا الله محمد رسول الله ألجأت ظهري إلى الله أسندت أمري إلى الله وفوضت أمري إلى الله، فأوحى الله إلى النار كوني بردا فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتى قال: وسلاما على إبراهيم وانحط جبرائيل وجلس معه يحدثه في النار ونظر إليه نمرود، فقال: من اتخذ إلها فليتخذ مثل إله إبراهيم^(١).

لقد هزت قصة حريق إبراهيم عليه السلام ونجاته الإعجازية في هذه المرحلة الخطيرة أركان حكومة نمرود، بحيث فقد نمرود معنوياته تماما، لأنه لم يعد قادرا على أن يظهر إبراهيم بمظهر

(١) - تفسير القمي: ج ٢، ص ٧١ - ٧٣.

الشباب المنافق والمشير للمشاكل، فقد عُرف بين الناس بأنه مرشد إلهي وبطل شجاع يقدر على مواجهة جبار ظالم - بكل إمكانياته وقدرته - بمفرده، وأنه لو بقي في تلك المدينة والبلاد على هذه الحال، ومع ذلك اللسان المتكلم والمنطق القوي، والشهامة والشجاعة التي لا نظير لها، فمن المحتم أنه سيكون خطرا على تلك الحكومة الجبارة الغاشمة، فلا بد أن يخرج من تلك الأرض على أي حال.

من جهة أخرى، فإن إبراهيم عليه السلام كان قد أدى رسالته في الواقع في تلك البلاد، ووجه ضربات ماحقة إلى هيكل الشرك وبنيانته، وبذر بذور الإيمان والوعي في تلك البلاد، وبقيت المسألة مسألة وقت لتنمو هذه البذور وتبدي ثمارها، وتقلع جذور الأصنام وعبادتها، وتسحب البساط من تحتها.

اذن، لا بد من الهجرة إلى موطن آخر لإيجاد أرضية لرسالته هناك، ولذلك صمم على الهجرة إلى الشام بصحبة لوط عليه السلام - وكان ابن أخ إبراهيم - وزوجته سارة، وربما كان معهم جمع قليل من المؤمنين، كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلْنَاهُ وُطُوًّا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ وبالرغم من أن اسم هذه الأرض لم يرد صريحا في القرآن، إلا أنه بملاحظة الآية الأولى من سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى

يَعْبُدُهُ لِئَلَّا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا
حَوْلَهُ ﴿١﴾ ، يتضح أن هذه الأرض هي أرض الشام ذاتها، التي
كانت من الناحية الظاهرية أرضا غنية مباركة خضراء، ومن
الجهة المعنوية كانت مهذا لرعاية الأنبياء.

وقد وردت بحوث مختلفة في التفاسير والروايات في أنَّ
إبراهيم عليه السلام هاجر تلقائيا، أم ابعده سلطات نمرود، أم أن
الاثنين اشتركا، والجمع بينهما جميعا هو أن نمرود ومن حوله
كانوا يرون في إبراهيم خطرا كبيرا عليهم، فأجبروه على
الخروج من تلك البلاد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنَّ
إبراهيم عليه السلام كان يرى أن رسالته ومهمته في تلك الأرض قد
انتهت، وكان يبحث عن منطقة أخرى للعمل على توسيع دعوة
التوحيد فيها، خاصة وأن البقاء في بابل قد يشكل خطرا على
حياته فتبقى دعوته العالمية ناقصة. في حديث عن الإمام
الصادق عليه السلام : إن «نمرود» أمر أن ينفوا إبراهيم من بلاده، وأن
يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجهم إبراهيم عليه السلام عند
ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فحقي عليكم أن تردوا
عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم، فاختموا إلى قاضي
نمرود، وقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلم إليهم جميع ما أصاب
في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردوا على إبراهيم

ما ذهب من عمره في بلادهم، فأخبر بذلك نمرود، فأمرهم أن يخلوا سبيله وسبيل ماشيته وماله، وأن يخرجوه، وقال: إنه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضر بآلهتكم^(١).



(١) - الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٠، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٩٦)

زيارة الأمير عليه السلام

عن عقبة بن خالد قال: دخلت أنا والمعلى على أبي عبد الله عليه السلام فقال: يا عقبة، لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرر به عينيه إلا أن يبلغ نفسه إلى هذه وأوماً بيده إلى الوريد، ثم اتكأ، وغمزني المعلى أن سله، فقلت: يا بن رسول الله عليه السلام إذا بلغت نفسه إلى هذه، فأى شيء يرى؟ فقال: يرى، فقلت له بضع عشرة مرة: أي شيء يرى؟ فقال (في) آخرها: يا عقبة! فقلت: لبيك وسعديك، فقال: أبيت إلا أن تعلم؟ فقلت: نعم - يا بن رسول الله - إنما ديني مع دمي فإذا ذهب ديني كان ذلك، فكيف بك، يا بن رسول الله، كل ساعة، وبكيت فرق لي، فقال: يراهما والله، فقلت: بأبي وأمي، من هما؟ فقال: رسول الله وعلي عليه السلام، يا عقبة، لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى يراهما، قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ قال: لا مضى أمامه، «إذا نظر إليهما مضى أمامه» فقلت له: يقولان

له شيئاً جعلت فداك؟ فقال: نعم، فيدخلان جميعاً على المؤمن فيجلس رسول الله ﷺ عند رأسه، وعلي ﷺ عند رجليه، فيكب عليه رسول الله ﷺ فيقول: يا ولي الله، أبشر فإنني رسول الله، إني خير لك مما تترك من الدنيا، ثم ينهض رسول الله عليه وآله السلام، فيقوم علي ﷺ حتى يكب عليه، فيقول: يا ولي الله، أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبني، (أما) لأنفعنك، ثم قال: أما أنّ هذا في كتاب الله، قلت: جعلت فداك، أين في كتاب الله؟ قال: في يونس^(١): ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾^(٢).



(١) - تفسير العياشي: ج ٢، ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) - سورة يونس، الآيتان: ٦٣ - ٦٤.

(٩٧)

معاندة

كان جمعٌ من المشركين ومنهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية المخزومي يجلسون خلف الكعبة، ثم أرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم، فقال له عبد الله بن أمية: إن شرك أن نتبعك فسيّر لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ فإنّها أرض ضيقة واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت أهون على ربك من داوود عليه السلام، حيث سخر له الجبال تسبح معه، أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام فنقضي عليها مسيرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان عليه السلام سخرت له الريح، فكما زعمت لنا فلست أهون على ربك من سليمان وأحيى لنا جدك قصياً أو من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه^(١)، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَلَوْ

(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٤٥٠.

أَنَّ قُرْءَانًا سُرِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ
لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِيسِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى
النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ
قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١﴾ .



(١) - سورة الرعد، الآية: ٣١.

(٩٨)

موسى والخضر عليهما السلام

عن ابن عباس، قال: أخبرني أبي ابن كعب، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: إن موسى عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذا لم يردَّ العلم إليه فأوحى الله إليه أنَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى عليه السلام يا رب فكيف لي به، قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكمل. ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد، قال موسى عليه السلام لفتاه: ﴿ءَإِنَّا عَدَاءُ نَا لَقَدْ لَفِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به، فقال فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا

أَسْنَيْنُهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَدْكُرَهُ وَأَتَّخِذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٠﴾ قال:
 وكان للحيات سرباً ولموسى عليه السلام ولفتهاه عجباً، فقال
 موسى عليه السلام: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

عندما رجع موسى عليه السلام وصاحبه إلى المكان الأول، أي
 قرب الصخرة وقرب (مجمع البحرين)، فجأة: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ
 عِبَادِنَا ءَأَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾. إن استخدام
 كلمة «وجدا» تفيد أنهما كانا يبحثان عن نفس هذا الرجل
 العالم، وقد وجداه أخيراً. أما استخدام عبارة عبدا من عبادنا
 فهي تبين أن أفضل فخر للإنسان هو أن يكون عبداً حقيقياً
 للخالق جل وعلا، وإن مقام العبودية هذا يكون سبباً في شمول
 الإنسان بالرحمة الإلهية، وفتح أبواب المعرفة والعلم في قلبه،
 كما أنّ استخدام عبارة من لدنا تبين أنّ علم ذلك العالم لم
 يكن علماً عادياً، بل كان يعرف جزءاً من أسرار هذا العالم،
 وأسرار الحوادث التي لا يعلمها سوى الله تعالى. أما استخدام
 (علما) بصيغة النكرة فهو للتعظيم، ويتبين من ذلك أنّ ذلك
 الرجل العالم قد حصل من علمه على فوائد عظيمة.

ثمّ قال موسى عليه السلام للرجل العالم باستفهام وبأدب كبير:
 ﴿هَلْ أَتَعَبَكَ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا؟﴾ ونستفيد من عبارة
 «رشدًا» أن العلم ليس هدفاً، بل هو وسيلة للعثور على طريق
 الخير والهداية والصلاح، وأنّ هذا العلم يجب أن يتعلم، وأن

يفتخر به. في معرض الجواب نرى أن الرجل العالم مع كامل العجب لموسى عليه السلام قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. ثم بين سبب ذلك مباشرة، وقال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾.

لقد كان هذا الرجل العالم يحيط بأبواب من العلوم التي تختص بأسرار وبواطن الأحداث، في حين أن موسى عليه السلام لم يكن مأمورا بمعرفة البواطن، وبالتالي لم يكن يعرف عنها الكثير، وفي مثل هذه الموارد يحدث كثيرا أن يكون ظاهر الحوادث يختلف تمام الاختلاف عن باطنها، فقد يكون الظاهر قبيحا أو غير هادف في حين أن الباطن مفيد ومقدس وهادف لأقصى غاية. في مثل هذه الحالة يفقد الشخص الذي ينظر إلى الظاهر صبره وتماسكه فيقوم بالاعتراض وحتى بالتشاجر، ولكن الأستاذ العالم والخبير بالأسرار بقي ينظر إلى بواطن الأعمال، ولم يعر أي أهمية إلى اعتراضات موسى عليه السلام وصيحاته، بل كان في انتظار الفرصة المناسبة ليكشف عن حقيقة الأمر، إلا أن التلميذ كان مستمرا في الإلحاح، ولكنه ندم حين توضحت وانكشفت له الأسرار.

قد يكون موسى عليه السلام اضطرب عندما سمع هذا الكلام وخشي أن يحرم من فيض هذا العالم الكبير، لذا فقد تعهد بأن يصبر على جميع الحوادث وقال: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾. مرة أخرى كشف موسى عليه السلام عن قمة

أدبه في هذه العبارة، فقد اعتمد على خالقه حيث لم يقل للرجل العالم: إني صابر، بل قال: إن شاء الله ستجدني صابرا. ولأن الصبر على حوادث غريبة وسيئة في الظاهر والتي لا يعرف الإنسان أسرارها، ليس بالأمر الهين، لذا فقد طلب الرجل العالم من موسى عليه السلام أن يتعهد له مرة أخرى، ذهب موسى عليه السلام وصاحبه وركبا السفينة: فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة قام العالم بثقبها: «خرقها». «خرق» كما يقول الراغب في المفردات: الخرق، قطع الشيء على سبيل الإفساد بلا تدبر ولا تفكر حيث كان ظاهر عمل الرجل العالم على هذا المنوال. ويحكم كون موسى عليه السلام نبيا إلهيا كبيرا فقد كان من جانب يرى أنّ واجبه الحفاظ على أرواح وأموال الناس، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن جانب آخر كان وجدانه الإنساني يضغط عليه ولا يدعه يسكت أمام أعمال الرجل العالم التي يبدو ظاهرها سيئا قبيحا، لذا فقد نسي العهد الذي قطعه للخضر (العالم) فاعترض وقال: قال: ﴿أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾. لا ريب أن هدف العالم (الخضر) لم يكن إغراق من في السفينة، ولكن النتيجة النهائية لخرق السفينة لم يكن سوى غرق من في السفينة، وحقا، لقد كان ظاهر عمل الرجل العالم عجيبا وسيئا للغاية، فهل هناك عمل أخطر من أن يثقب شخص سفينة تحمل عددا من المسافرين! وفي بعض

الروايات نقرأ أنّ أهل السفينة انتبهوا إلى الخطر بسرعة وقاموا بإصلاح الثقب (الخرق) مؤقتاً، ولكن السفينة أصبحت بعد ذلك معيبة وغير سالمة. وفي هذه الأثناء نظر الرجل العالم إلى موسى ﷺ نظرة خاصة وخاطبه، قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. أما موسى ﷺ الذي ندم على استعجاله، بسبب أهمية الحادثة، فقد تذكر عهده الذي قطعه لهذا العالم الأستاذ، لذا التفت إليه قائلاً: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾. يعني لقد أخطأت ونسيت الوعد فلا تؤاخذني بهذا الاشتباه. لقد انتهت سفرتهم البحرية وترجلوا من السفينة: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾، وقد تمّ ذلك بدون أي مقدمات! وهنا ثار موسى ﷺ مرة أخرى، حيث لم يستطع السكوت على قتل طفل بريء بدون أي سبب، وظهرت آثار الغضب على وجهه، وملاً الحزن وعدم الرضا عينيه ونسي وعده مرة أخرى، فقام بالاعتراض، وكان اعتراضه هذه المرة أشد من اعتراضه في المرة الأولى، لأن الحادثة هذه المرة كانت موحشة أكثر من الأولى، فقال ﷺ: قال: ﴿أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَّكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾، أي إنّك قتلت إنساناً بريئاً من دون أن يرتكب جريمة قتل، ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

ومرة أخرى كرر العالم الكبير جملته السابقة التي اتسمت ببرودة خاصة، حيث قال لموسى ﷺ: قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٠٠﴾. والاختلاف الوحيد مع الجملة السابقة هو إضافة كلمة «لك» التي تفيد التأكيد الأكثر، يعني: إنني قلت هذا الكلام لشخصك! تذكر موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** تعهده فانتبه إلى ذلك وهو خجل، حيث أخل بالعهد مرتين - ولو بسبب النسيان - وبدأ تدريجيا يشعر بصدق عبارة الأستاذ في أن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** لا يستطيع تحمل أعماله، لذا فلا يطيق رفقته كما قال له عندما عرض عليه موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** الرفقة، لذا فقد بادر إلى الاعتذار وقال: إذا اعترضت عليك مرة أخرى فلا تصاحبني وأنت في حل مني، قال: **﴿إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾**. بعد هذا الكلام والعهد الجديد: **﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا﴾**. لا ريب، إن موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** وصاحبه لم يكونا ممن يلقي بكله على الناس ولكن يتضح أن زادهم وأموالهم قد نفدت في تلك السفرة، لذا فقد رغبا أن يضيفهما أهل تلك المدينة. ثم يضيف القرآن: **﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾** وقد كان موسى **عَلَيْهِ السَّلَامُ** يشعر بالتعب والجوع، والأهم من ذلك أنه كان يشعر بأن كرامته وكرامة أستاذه قد أهينت من أهل هذه القرية التي أبت أن تضيفهما، ومن جانب آخر شاهد كيف أن الخضر قام بترميم الجدار بالرغم من سلوك أهل القرية القبيح إزاءهما، وكأنه بذلك أراد أن يجازي أهل القرية بفعالهم السيئة، وكان

موسى ﷺ يعتقد بأن على صاحبه أن يطالب بالأجر على هذا العمل حتى يستطيع أن يعدّ طعاما لهما. لذا فقد نسي موسى ﷺ عهده مرة أخرى وبدأ بالاعتراض، إلا أن اعتراضه هذه المرة بدا خفيفا فقال: قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾. وفي الواقع فإنّ موسى ﷺ يعتقد بأن قيام الإنسان بالتضحية في سبيل أناس سيئين عمل مجاف لروح العدالة، بعبارة أخرى: إن الجميل جيد وحسن، بشرط أن يكون في محله. صحيح أن الجزء الجميل في مقابل العمل القبيح هو من صفات الناس الإلهيين، إلا أن ذلك ينبغي أن لا يكون سببا في دفع المسيئين للقيام بالمزيد من الأعمال السيئة. وهنا قال الرجل العالم كلامه الأخير لموسى ﷺ، بأنك ومن خلال حوادث مختلفة، لا تستطيع معي صبورا، لذلك قرر العالم قراره الأخير، قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنْبِئُكَ بِأَوَّلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾. ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾. وبهذا الترتيب كان ثمة هدف خير وراء ثقب السفينة الذي بدا في حينه عملا مشينا سيئا، والهدف هو نجاتهم من قبضة ملك غاصب، وكان هذا الملك يترك السفينة المعيبة ويصرف النظر عنها. إذن، خلاصة المقصود في الحادثة الأولى هو حفظ مصالح مجموعة من المساكين. بعد ذلك ينتقل العالم إلى بيان سر الحادثة الثانية التي قتل فيها

الفتى فيقول: ﴿وَأَمَّا الْعَلْمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طَعِينًا وَكُفْرًا﴾. تحتل مجموعة من المفسرين أن المقصود من الآية ليس ما يتبين من ظاهرها من أن الفتى الكافر والعاصي قد يكون سببا في انحراف أبويه، وإنما المقصود أنه بسبب من طغيانه وكفره يؤذي أبويه كثيرا، ولكن التفسير الأول أقرب للصحة. في كل الأحوال، فإنَّ الرجل العالم قام بقتل هذا الفتى، واعتبر سبب ذلك ما سوف يقع للأب والأم المؤمنين في حال بقاء الابن على قيد الحياة. كشف الرجل العالم عن السر الثالث الذي دعاه إلى بناء الجدار فقال: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾. أنا كنت مأمورا ببناء هذا الجدار بسبب جميل وإحسان أبوي هذين اليتيمين، كي لا يسقط وينكشف الكنز ويكون معرضا للخطر^(١). وفي خاتمة الحديث، ولأجل أن تنتفي أي شبهة محتملة، أو شك لدى موسى عليه السلام، يبين الخضر عليه السلام له أنّ ما قام به إنّما كان بأمر من الله وليس من عنده، وهذا هو العلم اللدني أي العلم المباشر من قبل الله تعالى ومن غير واسطة.

(١) - راجع: تفسير مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ٧٤٢ - ٧٤٤، كذلك، تفسير الأمثل: ج ٩، ص ٣١٧ - ٣٢٤.

نعم، لقد أظهر له السرّ الذي لم يستطع تحمله، ثمّ تركه ومضى (١).

ويمكن إجمال بعض المسائل والدروس المهمة من قصة موسى مع الخضر عليه السلام بحيث تعد في حد ذاتها أسوة في الحياة الدنيا.

١ - إن البحث عن القائد العالم وإيجاده للاستفادة من علمه ومعرفته والاستضاءة بنور معارفه مهم إلى درجة أنّ أنبياء أولي العزم كموسى عليه السلام تحمل مشقة السفر وترك قومه وعمله من أجل العلم والمعرفة.

٢ - إن الصورة الظاهرية والباطنية للأشياء والحوادث مسألة مهمة وهي خارج إدراكنا وحساباتنا العلمية، وهذا يدعونا إلى عدم التسرّع بالحكم على بعض الظواهر التي نعدّها سيئة وغير مفيدة، فلعل ما نراه سيئاً يكون جيداً والعكس صحيح، وكثير من الحوادث التي نرى في ظاهرها السوء لنا، لكن في الحقيقة تخفي خلفها الطافاً إلهية جمّة، وهذا ما يعبر عنه القرآن الكريم صراحة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

(١) - راجع: مجمع البيان، وروح الجنان وتفسير أخرى.

(٢) - سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٩٩)

شمس الفضيلة

يقول تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١).

لقد خلق الله تعالى الكون والسماوات والأرض والنجوم والكواكب وجعل لكل منها نظاماً وقانوناً تعمل طبقه ولا تحيد عنه، لكن إذا أراد الله تعالى وإكراماً لرسله وأوليائه فإن هذه الكائنات قد تخرج عن مسارها وتحيد عن نظامها لوقت محدد وخاص.

عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: دخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، وقد أغمي عليه، ورأسه في حجر جبرائيل، وجبرائيل في صورة دحية الكلبي، فلما دخل علي عليه السلام قال له جبرائيل: دونك رأس ابن عمك، فأنت أحق به مني، لأن الله يقول في كتابه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ

(١) - سورة يس، الآية: ٣٨.

بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿١﴾ فجلس علي عليه السلام وأخذ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره، فلم يزل رأس رسول الله في حجره حتى غابت الشمس، وان رسول الله أفاق، فرفع رأسه فنظر إلى علي عليه السلام فقال: يا علي، أين جبرائيل؟ فقال: يا رسول الله، ما رأيت إلا دحية الكلبي دفع إليّ رأسك، وقال: يا علي، دونك رأس ابن عمك فأنت أحق به مني، لأن الله يقول في كتابه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، فجلست وأخذت رأسك، فلم يزل في حجري حتى غابت الشمس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفصليت العصر؟ فقال: لا، قال: فما منعك أن تصلي؟ فقال: قد أغمي عليك، وكان رأسك في حجري، فكرهت أن أشق عليك - يا رسول الله - وكرهت أن أقوم وأصلي و أوضع رأسك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك حتى فاتته صلاة العصر، اللهم فرد عليه الشمس حتى يصلي العصر في وقتها، قال: فطلعت الشمس فصارت في وقت العصر بيضاء نقية، ونظر إليها أهل المدينة، وأن عليا قام وصلى، فلما انصرف غابت الشمس وصلوا المغرب ^(١).

إن حديث ردّ الشمس لعلي بن أبي طالب عليه السلام مشهور بين

(١) - تفسير العياشي: ج ٢، ص ٧٠ - ٧١.

السنة والشيعة، ويوجد في المدينة المنورة مسجد يدعى مسجد «ردّ الشمس» وهو موجود إلى الآن، وهو المكان الذي صلّى فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد ورد الحديث في كتب الشيعة والسنة، فقد ذكره حافظ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، في الباب ٤٨. كذلك في كتاب المناقب لابن مغازلي الشافعي. وغير ذلك من المراجع والكتب المعتمدة^(١).



(١) - راجع: ينابيع المودة، ص ١٣٧، كذلك المناقب لابن المغازلي ص ٩٦ و٩٧، طباعة إيران.

(١٠٠)

صلح الحديبية

في السنة الثامنة للهجرة، عزم الرسول الأكرم ﷺ على التوجه إلى مكة المكرمة للعمرة، فتوجه في شهر ذي القعدة مع أصحابه وأتباعه وحمل معه الذبائح، فلما وصل الخبر إلى قريش والمشركين، جهزوا جيشاً لمنعه من دخول مكة، وبعد تبادل الرسائل توصل الرسول ﷺ إلى عقد صلح مع المشركين فانتدبوا سهيل بن عمرو ليكتب وثيقة الصلح مع النبي الأكرم ﷺ، فقال الرسول ﷺ لعلي عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب، أكتب باسمك اللهم، وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون، ثم قال رسول الله ﷺ: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال مشركو قريش: لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك، ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله، فقال أصحاب

رسول الله ﷺ: دعنا نقاتلهم، قال: لا ولكن اكتبوا كما يريدون، فأنزل الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّتِكَ﴾ (١).



(١) - تفسير البيان، ج ٥ - ٦، ص ٤٥٠.

(١٠١)

مسجد ضرار

عندما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، ووصل إلى حومة المدينة، إلى منطقة تدعى «قبا» وذلك في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، السنة الحادية عشر للبعثة، فنزل بالقرب من قبيلة بني عمرو بن عوف، وانتظر قدوم أمير المؤمنين علي عليه السلام مع النساء، وقد طال الأمر خمسة عشر يوماً، وكان رسول الله ﷺ قبل قدومه إلى المدينة قد ابتاع أرضاً من يتييمين بضعف ثمنها، وذلك من أجل إقامة مسجد عليها، وبذلك تمّ التخطيط لإقامة أول مسجد على وجه المعمورة، ثمّ أنّ بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم وصلى فيه، فحسداهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف، فقالوا: نبني مسجداً فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد، وكانوا إثني عشر رجلاً وقيل خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء، فلما

فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله أنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليله المطيرة والليله الشاتية وأنا نحب أن تأتينا فتصلي فينا فيه لنا وتدعو بالبركة، فقال ﷺ أني على جناح سفر ولو قدمنا لأتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه، فلما انصرف رسول الله من تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد. ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حُجَّةً لِمَنْ آمَنَ مِنْ أَتَسَّ بِئِنَّكُنَّ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأْتَاهَا بِيءٌ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنِيتُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ (١).

وبذلك كشف المولى تعالى الستار عن نية هؤلاء الجماعة والهدف من بناء مسجدهم، وسوء نيتهم، ونهى الرسول عن الإقامة فيه للصلاة، ثم بعد ذلك أمر رسول الله ﷺ أن يحرق المسجد ويخرب ويزال كل أثر له. وكانوا قد أرصدوا ذلك

(١) - سورة التوبة، الآيات: ١٠٧ - ١١٠.

المسجد واتخذوه وأعدوا لأبي عامر الراهب - وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل - وكان من قصته أنّه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح، فلما قدم النبي ﷺ المدينة حسده وحزّب عليه الأحزاب، ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر.

وسمى رسول الله ﷺ أبا عامر الفاسق وكان قد أرسل إلى المنافقين أن استعدّوا وابنوا مسجداً فإني أذهب إلى قيصر وأتي من عنده بجنود وأخرج محمداً من المدينة، فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون أن يجيئهم أبو عامر فمات قبل أن يبلغ ملك الروم^(١).



(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٥ - ٦، ص ١١٠.

(١٠٢)

حديث المنزلة

في غزوة تبوك أوحى الله (تبارك وتعالى اسمه) إلى نبيه ﷺ : أن يسير إليها بنفسه، ويستنفر الناس للخروج معه، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب، ولا يمنى بقتال عدو، وأنَّ الأمور تنقاد له بغير سيف، وتعبده بامتحان أصحابه بالخروج معه واختبارهم، ليتميزوا بذلك وتظهر سرائرهم. فاستنفرهم النبي ﷺ إلى بلاد الروم، وقد أینعت ثمارهم واشتد القيظ عليهم، فأبطأ أكثرهم عن طاعته، رغبة في العاجل وحرصاً على المعيشة وإصلاحها، وخوفاً من شدة القيظ وبعد المسافة ولقاء العدو، ثم نهض بعضهم على استئصال النهوض، وتخلف آخرون. ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج استخلف أمير المؤمنين عليه السلام في أهله وولده وأزواجه ومهاجره، وقال له، «يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك». وذلك أنه عليه السلام علم من خبث نيات الأعراب، وكثير من أهل مكة ومن حولها، ممن غزاهم وسفك دماءهم، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نأيه عنها

وحصوله ببلاد الروم أو نحوها، فمتى لم يكن فيها من يقوم مقامه، لم يؤمن من معرفتهم، وإيقاع الفساد في دار هجرته، والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه. وعلم عليه السلام أنه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو وحراسة دار الهجرة وحياطة من فيها، إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فاستخلفه استخلافًا ظاهرًا، ونص عليه بالإمامة من بعده نصًا جليًا، وذلك فيما تظاهرت به الرواية أن أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليًا عليه السلام على المدينة، حسدوه لذلك وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه، وعلموا أنها تنحرس به، ولا يكون للعدو فيها مطمع، فساءهم ذلك، وكانوا يؤثرون خروجه معه، لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المدينة، وخلوها من مرهوب مخوف يحرسها، وغبطوه عليه السلام على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله، وتكلف من خرج منهم المشاق بالسفر والخطر، فأرجفوا به عليه السلام وقالوا: لم يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إكرامًا له وإجلالًا ومودة، وإنما خلفه استثقالا له. فبهتوه بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبي عليه وآله السلام بالجنة تارة، وبالشعر أخرى، وبالسحر مرة، وبالكهانة أخرى، وهم يعلمون ضد ذلك ونقيضه، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان أخص الناس بأمر المؤمنين عليه السلام، وكان هو أحب الناس إليه وأسعدهم عنده

وأفضلهم لديه، فلما بلغ أمير المؤمنين إرجاف المنافقين به، أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم، فلحق بالنبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، إن المنافقين يزعمون أنك إنما خلفتني استثقالا ومقتا! فقال له رسول الله ﷺ: ارجع يا أخي إلى مكانك، فإنّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك، فأنت خليفتي في أهلي ودار هجرتي وقومي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي». فتضمن هذا القول من رسول الله ﷺ جميع منازل هارون من موسى، إلا ما خصه العرف من الأخوة واستثناه هو ﷺ من النبوة. ألا ترى أنه عليه وآله السلام جعل له كافة منازل هارون من موسى، إلا المستثنى منها لفظا أو عقلا^(١).

هذا الحديث المعروف بحديث المنزلة نقل في كتب السنة والشيعية على السواء، وهو حديث معتبر ولا يقبل الإنكار أو الشك، فقد ورد في كتب كثيرة مثل غاية المرام للبحراني، والغدير، وإحقاق الحق، وإثبات الهداة وغير ذلك من المراجع والكتب.



(١) - الإرشاد، الشيخ المفيد، ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٧.

(١٠٣)

تغير القبلة

كان رسول الله ﷺ - بعد البعثة - يصلي باتجاه القدس، وقد استمر حوالي (١٣) سنة، وكان اليهود يعيرون رسول الله ﷺ ويقولون له: أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا، فاغتم من ذلك رسول الله ﷺ غما شديدا، وخرج في جوف الليل ينظر في آفاق السماء ينتظر أمر الله تبارك وتعالى في ذلك، فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلى بهم (من) الظهر ركعتين، نزل جبرائيل ﷺ فأخذ بعضديه فحوله إلى الكعبة فصلى ركعتين إلى الكعبة وأنزل عليه قوله سبحانه:

﴿قَدْ زَيَّ تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

وفي رواية أن جبرائيل ﷺ أخذ بيد النبي ﷺ فحول وجهه إلى الكعبة وحول من خلفه وجوههم، حتى قام الرجال

مقام النساء والنساء مقام الرجال. فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة. وبلغ الخبر مسجدا بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو الكعبة، وكان أول صلاتهم إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة، فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين^(١).

وفي الفقيه أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ثلاث عشرة سنة بمكة وتسعة عشر شهرا بالمدينة، ثم غيرته اليهود فقالوا: إنك تابع لقبلتنا، فاغتم لذلك غما شديدا، فلما كان في بعض الليل خرج يقلب وجهه في آفاق السماء، فلما أصبح صلى الغداة، فلما صلى من الظهر ركعتين جاء جبرائيل ﷺ فقال له ﴿قَدْ زَرَى تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، ثم أخذ بيد النبي ﷺ فحول وجهه إلى الكعبة، وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء والنساء مقام الرجال، فكان أول صلاته إلى بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة فبلغ الخبر مسجدا بالمدينة وقد صلى أهله من العصر ركعتين فحولوا نحو القبلة، فكان أول صلاتهم إلى

(١) - موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ج ٢، ص ١٦٠.

بيت المقدس وآخرها إلى الكعبة فسمي ذلك المسجد مسجد القبلتين، ولما أن صرف الله نبيه إلى الكعبة عن بيت المقدس، قال المسلمون: للنبي رأيت صلاتنا التي كنا نصلي إلى بيت المقدس، ما حالنا فيها وما حال من مضى من أمواتنا، وهم كانوا يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، فسمى الصلاة إيماننا، فمن اتقى الله حافظا لجوارحه موفيا كل جارحة من جوارحه بما فرض الله عليه لقي الله مستكملا لإيمانه من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله فيها لقي الله ناقص الإيمان^(١).



(١) - تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٣٣، ٣٣٤.

المصلحة الإلهية

كان ثعلبة بن حاطب الأنصاري رجلاً فقيراً، وكان يحضر مع رسول الله ﷺ الصلاة في المسجد خمس مرات، فجاء إلى الرسول الأكرم ﷺ مرة فقال للنبي ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: يا ثعلبة قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة، والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت، ثم أتاه بعد ذلك، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حقّ حقه، فقال ﷺ: اللهم ارزق ثعلبة مالاً، قال: فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها، ثم كثرت نمواً حتى تباعدت عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة، وبعث رسول الله ﷺ إليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال: ما هذه إلا أخت الجزية،

فقال رسول الله ﷺ: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة^(١)، وأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنُصَدِّقَنَّهُ وَلَنُكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٥ - ٦، ص ٨١ - ٨٢.
(٢) - سورة التوبة، الآية: ٧٥.

(١٠٥)

الحسرة

وقعت معركة بدر الكبرى في السابع عشر من شهر رمضان، وذلك بعد سنة من قدوم الرسول الأكرم ﷺ إلى المدينة، ثم تهيأت قريش ومن حالفهم لحرب الرسول ﷺ، وجمعت كل طاقاتها لحربه في معركة أحد، فاستأجر أبو سفيان ألفين من الأحباش ليقاتل بهم محمداً ﷺ بالاضافة إلى قريش والمشركين ومن استجاب لهم من العرب،

يقول كعب بن مالك في ذلك:

فجئنا إلى موجٍ من البحر وسطهم
أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن ببقية
ثلاث مئتين إن كثرنا فأربعُ

وقد توافق اثنا عشر رجلاً من أغنياء قريش أن يطعموا الجيش الذي استأجره أبو سفيان وهم: أبو جهل بن هشام

وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام
وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل
والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان كل يوم يُطعم
واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس^(١)
فنزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْسِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْسِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٣ - ٤، ص ٨٣١ - ٨٣٢.

(٢) - سورة الأنفال، الآية: ٣٦.

(١٠٦)

شكر الرسول ﷺ

من أهم الوسائل التي تؤثر في تكامل الإنسان الروحي التواضع في مقابل عظمة الخالق، على أن التواضع والعبادة والمناجاة علامات وتجليات لمقام شكر العباد على النعم الإلهية التي لا تعدّ ولا تحصى، وهذا هو أسلوب أئمة الدين، فهم أسوة حسنة لاتباعهم في هذا المقام.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله، لم تتعب نفسك، وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، أفلا أكون عبدا شكورا؟ قال: وكان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجله، فأنزل الله سبحانه: ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾﴾.

وعن موسى بن جعفر عن أبيه عن آباءه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولقد قام رسول الله ﷺ عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماه واصفر

وجهه، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك، فقال الله ﷻ : ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا مَا أَزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (١) بل لتسعد به والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة (٢).

صحيح أن العبادة والتضرع والتواضع والتقرب إلى الخالق عز وجل من أفضل الأعمال وأهم المسائل المطلوبة في سعي الإنسان، لكن الدين الإسلامي دين السماحة والبساطة وهو دين سهل، وبتعبير المفسرين (أمة الإسلام أمة وسط)، فليس في برنامج حياة المسلمين وسلوكهم إفراط ولا تفريط، من هنا فإن العبادات في الإسلام لا يمكن أن تكون مشقة للإنسان ولا عذاباً روحياً، بحيث تجعل الإنسان يمل منها ويفر من إقامتها، فهذا ليس جائزاً في دين الإسلام الحنيف، لأن الدين يطابق الفطرة ولا يخالفها، من هنا فإن الإنسان الذي يتحمل مشقة العبادة ويصبر في ذلك يعد من الشاكرين عند المولى تعالى، وينال مقاماً أعلى وشرفاً أسمى عنده سبحانه.



(١) - سورة طه، الآيتان: ١ - ٢.

(٢) - تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٦٧.

(١٠٧)

عفو الله سبحانه وكرمه

كان عدد جيش المشركين في واقعة بدر ٩٧٠ شخصاً وعدد المسلمين ٣١٣. في هذه المعركة نصر الله ﷺ رسوله والمسلمين بالمدد الغيبي فأمدّه بالملائكة، وانتصر المسلمون في تلك المعركة، فقتل من الكفار ٧٠ نفرًا وأسر المسلمون منهم ٧٠ نفرًا أيضاً، فنهى رسول الله ﷺ يوم بدر أن يقتل أحد من بني هاشم من الأسرى، فأرسل علياً عليه السلام، فقال: انظر من هيهنا من بني هاشم، قال: فمر علي عليه السلام على عقيل بن أبي طالب كرم الله وجهه فحاد عنه فقال له: يا بن أم علي أما والله لقد رأيت مكاني، قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: هذا أبو الفضل في يد فلان، وهذا عقيل في يد فلان، وهذا نوفل بن حارث في يد فلان، فقام رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى عقيل، فقال له: يا أبا يزيد، قتل أبو جهل. قال: إذن لا تنازعون في تهامة فقال: إن كنتم أثخنتم القوم وإلا فاركبوا أكتافهم، قال: فجيء بالعباس فقيل له: أفد نفسك، وأفد ابن أخيك، فقال: يا محمد، تتركني أسأل قريشاً في كفي؟ فقال:

أعط ما خلفت عند أم الفضل، وقل لها: إن أصابني في وجهي هذا شيء فأنفقيه على ولدك ونفسك، فقال له: يا بن أخي من أخبرك بهذا؟ فقال: أتاني جبرائيل عليه السلام من عند الله عزّ ذكره، فقال: ما علم بهذا أحد إلا أنا وهي، أشهد أنّك رسول الله، قال: فرجع الأسارى كلهم **﴿مُشْرِكِينَ﴾** إلا العباس وعقيل ونوفل كرم الله وجوهرهم ^(١)، وفيهم نزلت هذه الآية: **﴿يَتَأْتِيَ آلَ اللَّهِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْآسَرِيِّ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** ^(٢).

عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام قال: أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمال، فقال للعباس: يا عباس ابسط رداءك وخذ من هذا المال طرفاً. فبسط رداءه، فأخذ منه طائفة، ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هذا من الذي قال الله تبارك وتعالى: **﴿يَتَأْتِيَ آلَ اللَّهِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْآسَرِيِّ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** ^(٣).



(١) - تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ١٦٨.

(٢) - سورة الأنفال، الآية: ٧٠.

(٣) - تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(١٠٨)

نسبة الرب ﷻ

عندما بعث النبي الأكرم ﷺ بالرسالة السماوية سعى المشركون وجهدوا في الوقوف بوجه المد الإسلامي، فكانوا يطلبون من النبي ﷺ مسائل مستحيلة الحصول، وذلك من أجل تعجيزه واتخاذ الذريعة لعدم الإيمان به، وكان اليهود يطرحون أسئلة صعبة ومستحيلة مع أنهم وجدوا صفاته ﷺ مكتوبة في كتبهم، فعرفوه بالاسم والكنية والصفة، لكنهم لم يؤمنوا به عناداً وتكبراً. ومما جاء في السير والتفاسير أن اليهود سألوا الرسول ﷺ فقالوا: أنسب لنا ربك، فلبث ثلاثاً لا يجيبهم حتى نزلت الآية المباركة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢٠) قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَكِدْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ (١).

وهذه السورة على صغرها غير أن لها من الفضيلة بحيث

(١) - سورة الإخلاص، الآيات: ١ - ٤.

أفرز لها المفسرون صفحات وصفحات، ففي تفسير نور الثقلين ورد أكثر من تسعين حديثاً في فضيلة سورة التوحيد وتفسيرها.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال في شأن هذه السورة: «هذه نسبة الرب تبارك وتعالى»، وعن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «نسبة الله تعالى قل هو الله. وعن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله جلّ جلاله قال له: اقرأ قل هو الله أحد كما نزلت فإنها نسبتني ونعتي.

وروي في الحديث أنّ لكل شيء نسبة ونسبة الله سورة الإخلاص.

سئل علي بن الحسين صلوات الله عليه عن التوحيد؟ فقال: إنّ الله تعالى علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون، فأنزل الله تعالى: قل هو الله أحد، والآيات من سورة الحديد إلى قوله ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فمن رام وراء ذلك فقد هلك^(١).



(١) - راجع تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٧٠٦ - ٧٠٧.

توبة أبي لبابة

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، نزلت هذه الآية في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة، فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام، فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحاً لهم، لأن عياله وماله وولده كانت عندهم، فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة؟ أتنزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: أنه الذبح فلا تفعلوا، فأتاه جبرائيل عليه السلام (أتى الرسول ﷺ) فأخبره بذلك، قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله، فنزلت الآية فيه، فلما نزلت شد نفسه على سارية من

سوارى المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك، فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فحلّه بيده، ثم قال أبو لبابة: أن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن انخلع من مالي، فقال النبي ﷺ: يجزئك الثلث أن تصدّق به، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (١).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٣ - ٤، ص ٨٢٣ - ٨٢٤.

(١١٠)

زينة المصلي

كانت بعض القبائل في الجاهلية والمشركين إذا كانوا في الكعبة خلعوا ثيابهم وطافوا عراة، وكانت الأوس والخزرج وخزاعة وثقيف وبني عامر بن صعصعة وبطون كنانة بن بكر كانوا لا يأكلون اللحم، ولا يأتون البيوت إلا من أدبارها، ولا يضطربون وبرا ولا شعرا إنما يضطربون الادم، ويلبسون صبيانهم الرهاط، وكانوا يطوفون عراة إلا قريشا، فإذا قدموا طرحوا ثيابهم التي قدموا فيها، وقالوا: هذه ثيابنا التي تطهرنا إلى ربنا فيها من الذنوب والخطايا ثم قالوا لقريش: من يعيرنا مئزرا؟ فإن لم يجدوا طافوا عراة فإذا فرغوا من طوافهم أخذوا ثيابهم التي كانوا وضعوا، وكان الناس يطوفون بالبيت عراة يقولون: لا نظوف في ثياب أذنبنا فيها...^(١). فنزلت هذه الآية:

﴿يَبْنَىٰٓ ءَادَمَۙ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُؤْوِي سَوَءَ تِكُمْ وَيُرِي رِبَاسًا وَيَلْبَسُ النِّقَوىٰ

(١) - تفسير الميزان، ج ٨، ص ٨٧.

ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١﴾.

وكانت قبيلة بني عامر، إضافة إلى فعلها القبيح هذا، إذا وصلوا إلى مسجد خلعوا ثيابهم ودخلوا المسجد عراة، وإذا طاف أحدهم وهو مؤتزر ضربوه حتى يخلع ثيابه. فأنزل المولى تعالى قوله: ﴿يَبْنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢).



(١) - سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) - سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(۱۱۱)

اجتناب الرسول ﷺ القتل غيلة

من علامات نبوة الرسول الأكرم محمد ﷺ أنه لم يتعلم القراءة والكتابة على يد أحد، وهذا الأمر يؤيده جميع المؤرخين، والقرآن الكريم يذكر هذا الموضوع بصراحة حيث يقول: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُونَ﴾^(۱).

وقد ورد في الروايات أنّ الرسول ﷺ كان يعرف القراءة والكتابة ومع ذلك لم يكتب الوحي بيده، بل كان يتخذ كتبة ليكتبوا ما ينزل به الوحي من الآيات المباركات^(۲).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال أنّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان أخوا عثمان من الرضاعة أسلم و قدم المدينة وكان له

(۱) - سورة العنكبوت، الآية: ۴۸.

(۲) - البرهان، ج ۴، ۳۳۲.

خط حسن، وكان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ دعي فكتب ما يمليه عليه رسول الله ﷺ فكان إذا قال له رسول الله ﷺ ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يكتب ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وإذا قال ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يكتب ﴿بَصِيرٌ﴾ ويفرق بين التاء والياء وكان رسول الله ﷺ يقول: هو واحد فارتد كافرا ورجع إلى مكة، وقال لقريش: والله ما يدري محمد ما يقول، أنا أقول مثل ما يقول، فلا ينكر على ذلك، فأنا أنزل مثل ما ينزل، فأنزل الله على نبيه ﷺ في ذلك: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة أمر بقتله، فجاء به عثمان قد أخذ بيده ورسول الله في المسجد فقال: يا رسول الله اعف عنه، فسكت رسول الله ﷺ، ثم أعاد فسكت، ثم أعاد فقال: هو لك، فلما مر قال رسول الله ﷺ لأصحابه: ألم أقل من رآه فليقتله؟ فقال رجل، كان عيني إليك يا رسول الله أن تشير إلي فأقتله، فقال رسول الله ﷺ: أن الأنبياء لا يقتلون بالإشارة فكان من الطلقاء^(١).

(١) - تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٧٤٦.

مجالسة الفقراء

كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمون أصحاب الصفة، وكان رسول الله ﷺ أمرهم أن يكونوا في صفة يأوون إليها: وكان رسول الله ﷺ يتعاهدهم بنفسه، وربما حمل إليهم ما يأكلون. وكانوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك ويقولون له: اطردهم عنك، فجاء يوما رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وعنده رجل من أصحاب الصفة قد لزم برسول الله ﷺ يحدثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله ﷺ: تقدم فلم يفعل، فقال له رسول الله ﷺ: لعلك خفت أن يلزم فقره بك، فقال الأنصاري اطرده هؤلاء عنك^(١)، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

(١) - تفسير نور الثقلين، ج ١، ص ٧٢١.

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ^ط مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ
مِنْ شَيْءٍ فَنَطَّرْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.



(١) - سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

المهاجرون إلى الحبشة

في بداية الدعوة الإسلامية إئتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم، فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب، فلما رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد، أمرهم بالخروج إلى أرض الحبشة، وقال: إِنَّ بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يُظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله **رِجَالاً** للمسلمين فرجاً، وأراد به النجاشي واسمه أصحمة وهو بالحبشة عطية، وإنما النجاشي اسم الملك كقولهم تبع وكسرى وقيصر، فخرج إليها سراً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت رسول الله والزيير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب به عمير وأبو سلمة بن عبد

الأسد وامراته أم سلمة بنت أبي أمية وعثمان بن مظعون وعامر ابن ربيعة وامراته ليلى بنت أبي خيثمة وحاطب بن عمرو وسهل ابن البيضاء، فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة إلى أرض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله، وهذه هي الهجرة الأولى، ثم خرج جعفر بن أبي طالب وتتابع المسلمون إليها وكان جميع من هاجر إلى الحبشة من المسلمين إثنين وثمانين رجلاً سوى النساء والصبيان، فلما علمت قريش بذلك وجَّهوا عمرو بن العاص وصاحبه عمارة بن الوليد بالهدايا إلى النجاشي وإلى بطارقه ليردّوهم إليهم، وكان عمارة بن الوليد شاباً حسن الوجه وأخرج عمرو بن العاص أهله معه، فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عمارة لعمرو بن العاص: قل لأهلك تقبّلني فأبى، فلما انتشى عمرو دفعه عمارة في الماء ونشب عمرو في صدر السفينة وأخرج من الماء وألقى الله بينهما العداوة في مسيرهما قبل أن يقدموا إلى النجاشي، ثم وردا على النجاشي، فقال عمرو بن العاص: أيّها الملك إنّ قوماً خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا إليك فردّهم إلينا، فبعث النجاشي إلى جعفر فجاءه، فقال: يا أيّها الملك سلهم أنحن عبيد لهم، فقال: لا بل أحرار، قال: فسلمهم ألهم علينا ديون يطالبوننا بها، قال: لا

مالنا عليكم ديون، قال: فلكم في أعناقنا دماء تطالبونا بها، قال عمرو: لا، قال: فما تريدون منّا؟ آذيتونا فخرجنا من دياركم، ثم قال: أيّها الملك بعث الله فينا نبياً أمرنا بخلع الأنداد وترك الاستقسام بالأزلام وأمرنا بالصلاة والزكاة والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ونهانا عن الفحشاء والمنكر والبغي، فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى، ثم قال النجاشي لجعفر: هل تحفظ مما أنزل الله على نبيك شيئاً؟ قال: نعم فقراً سورة مريم، فلما بلغ قوله ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجُنْعِ النَّخْلَةِ سَلْقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾، قال: هذا والله هو الحق، فقال عمرو أنه مخالف لنا فردّه إلينا فرفع النجاشي يده وضرب بها وجه عمرو، وقال: اسكت والله لئن ذكرته بعدُ بسوء لأفعلنّ بك، وقال أرجعوا إلى هذا هديته، وقال لجعفر وأصحابه امكثوا فإنكم سيوم؟ والسيوم الأمنون وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق، فانصرف عمرو وأقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله ﷺ، وعلا أمره وهادن قريشاً وفتح خيبر فوافى جعفر إلى رسول الله ﷺ بجميع من كانوا معه، فقال رسول الله ﷺ لا أدري أنا بفتح خيبر أسراً أم بقدوم جعفر، ووافى جعفر وأصحابه رسول الله ﷺ في سبعين رجلاً منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام فيهم بحيراء الراهب، فقراً عليهم رسول

الله ﷻ سورة يس إلى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله فيهم هذه الآيات^(١)، وقال مقاتلي والكلبي: كانوا أربعين رجلاً إثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام، وقال عطا: كانوا ثمانين رجلاً أربعون من أهل نجران من بني الحرث بن كعب واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام^(٢).



(١) - سورة المائدة، الآيات: ٨٢ - ٨٤.

(٢) - تفسير مجمع البيان، ج ٣ - ٤، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

نفي الرهبانية

جلس رسول الله ﷺ يوماً فذكّر الناس ووصف القيامة فرّق الناس وبكوا، واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم علي عليه السلام وأبو بكر وعبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الأرض، وهمّ بعضهم أن يُجبّ مذاكيره، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتى دار عثمان فلم يصادفه، فقال لامرأته أم حكيم بنت أبي أمية واسمها حولاء وكانت عطارة: أحقّ ما بلغني عن زوجك وأصحابه؟ فكرهت أن تكذب رسول الله ﷺ وكرهت أن تبدي على زوجها، فقالت: يا رسول الله إن كان أخبرك عثمان فقد صدّقتك، فانصرف رسول الله، فلما دخل عثمان أخبرته بذلك

فأتى رسول الله ﷺ هو وأصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ :
 ألم أنبئكم أنكم اتفقتم على كذا وكذا، قالوا: بلى يا رسول
 الله ﷺ وما أردنا إلا الخير، فقال رسول الله: أني لم أؤمر
 بذلك، ثم قال: إن لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وأفطروا
 وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم
 والدمس وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني، ثم جمع
 الناس وخطبهم، وقال: ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام
 والطيب والنوم وشهوات الدنيا، أما إنني لست آمركم أن تكونوا
 قسيسين ورهباناً، فإنه ليس في ديني ترك اللحم ولا النساء ولا
 اتخاذ الصوامع وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد،
 اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا واعتمروا وأقيموا
 الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم،
 فإنما هلك من كان قبلكم بالتحديد، شدّدوا على أنفسهم فشدد
 الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فأنزل الله
 الآية^(١): ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
 تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^(٢).

(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٣ - ٤، ص ٣٦٤.

(٢) - سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(١١٥)

مقام إبراهيم

بعد المواجهة الشديدة التي حصلت بين خليل الله إبراهيم عليه السلام وبين النمرود وعابدي الأصنام، خرج إبراهيم عليه السلام من بلاد الشام وتوجّه إلى مصر وتزوج هناك من جارية كان يملكها ملك مصر وقد هداها لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام. ثمّ أهدت سارة جارتها هاجر لزوجها نبي الله إبراهيم عليه السلام فتزوج منها فأنجبت له إسماعيل عليه السلام.

عن ابن عباس، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة، وأتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج إسماعيل عليه السلام امرأة منهم وماتت هاجر واستأذن إبراهيم عليه السلام سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ليس هنا ذهب يتصيد، وكان إسماعيل عليه السلام يخرج من الحرم فيصيد ثمّ يرجع، فقال لها إبراهيم عليه السلام: هل عندك ضيافة؟

قالت: ليس عندي شيء وما عندي أحد، فقال لها إبراهيم عليه السلام: إذا جاء زوجك فاقريه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، وذهب إبراهيم عليه السلام فجاء إسماعيل عليه السلام فوجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا، كالمستخفة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي أقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه، فطلقها وتزوج أخرى، فلبث إبراهيم عليه السلام ما شاء الله أن يلبث ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل عليه السلام فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم عليه السلام حتى انتهى إلى باب إسماعيل عليه السلام، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله، فأنزل يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم فدعا لهما بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز أو بُرّ أو شعير أو تمر لكان أكثر أرض الله بُرّاً وشعيراً وتمراً، فقالت له انزل حتى أغسل رأسك فلم ينزل، فجاءت بالمقام ووضعت على شقه الأيمن فوضع قدمه عليه، فبقي أثره فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر، فغسلت شق رأسه الأيسر، فبقي أثر قدمه عليه، فقال لها: إذا جاء زوجك فاقريه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك، فلما جاء إسماعيل عليه السلام وجد ريح أبيه، فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم، شيخ

أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً، فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه على المقام، فقال إسماعيل لها: ذاك إبراهيم عليه السلام ^(١).

والمقام الذي وضع إبراهيم عليه السلام قدميه عليه هو المقام الذي يصلي عنده حجاج بيت الله الحرام في مكة حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ ^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ١ - ٢، ص ٣٨٣ - ٣٨٤، راجع: مروج الذهب للمسعودي.
(٢) - سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

إتمام الحجة

في السنة العاشرة للهجرة حج الرسول الأكرم ﷺ حجة الوداع، وكان عدد الحجيج على ما يذكر المؤرخون في ذلك العام حوالي مئة وعشرين ألفاً رافقوا الرسول ﷺ في ذلك الحج المهيب.

بعدها أتم الرسول ﷺ مناسك الحج وقفل راجعاً، فلما وصل إلى منطقة تدعى خوجان جاءه الوحي قائلاً ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١).

فلما وصل إلى مكان يقال له غدير خم (من الجحفة) التي تتشعب فيها طرق المدينة ومصر والعراق، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشرة للهجرة، فأمر

(١) - سورة المائدة، الآية: ٦٧.

رسول الله ﷺ أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ثم صلى بالناس، وكان يوماً شديداً حراً، فلما انصرف من صلاته قام خطيباً وسط القوم وذلك على أقتاب الإبل، وأسمع الجميع في خطبة خطبها، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعها حتى رئي بياض إبطيهما، وعرفه القوم أجمعون، وقال: «أيها الناس من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيف دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب»^(١).

بعد انتهاء الخطبة وقبل انصراف المسلمين وتفرقهم نزل الوحي الأمين يقول: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

يقول سعيد الخدري، بعد نزول هذه الآية صاح رسول

(١) - راجع: المناقب، ينابيع المودة، الغدير، وكتب التفسير.

(٢) - سورة المائدة، الآية: ٣.

الله ﷻ : «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب
برسالاتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي»^(١).



(١) - مجمع البيان، ج ٣، ص ١٥٩، كذلك المناقب للخوارزمي، ص ١٣٥.

إجراء حدود الله تعالى

من المعروف أن اليهود كانوا يقيمون في خيبر قبل فتحها من قبل المسلمين، وكان لهم بساتين النخيل والحصون والقلاع المحكمة البناء، فكانت حياتهم رغيدة هانئة، وكان المترفون منهم والأشراف وعلماء الدين يحرفون أحكام الدين والتعاليم السماوية من أجل الحفاظ على مصالحهم ومواقعهم.

ينقل عن الإمام الباقر عليه السلام وجماعة من المفسرين: إن امرأة من خيبر، ذات شرف بينهم، زنت مع رجل من أشرافهم، وهما محصنان، فكرهوا رجمهما، فأرسلوا إلى يهود المدينة، وكتبوا إليهم، أن يسألوا النبي عن ذلك، طمعاً في أن يأتي لهم برخصة، فانطلق قوم منهم: كعب بن الأشرف، وكعب بن أسيد، وشعبة بن عمرو، ومالك بن الصيف، وكنانة بن أبي الحقيق، وغيرهم، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا، ما حدهما؟ فقال: وهل ترضون بقضائي في ذلك؟ قالوا: نعم. فنزل جبرائيل عليه السلام بالرجم، فأخبرهم بذلك، فأبوا

أن يأخذوا به، فقال جبرائيل عليه السلام : اجعل بينك وبينهم ابن
 سوريا، ووصفه له. فقال النبي ﷺ : هل تعرفون شابا أمرد،
 أبيض، أعور، يسكن فدكا يقال له ابن سوريا؟ قالوا: نعم.
 قال: فأى رجل هو فيكم؟ قالوا: أعلم يهودي بقي على ظهر
 الأرض بما أنزل الله على موسى. قال: فأرسلوا إليه، ففعلوا
 فأتاهم عبد الله بن سوريا، فقال له النبي ﷺ : إني أنشدك الله
 الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام ، وفلق
 لكم البحر، وأنجاكم، وأغرق آل فرعون، وظلل عليكم
 الغمام، وأنزل عليكم المن والسلوى، هل تجدون في كتابكم
 الرجم على من أحسن؟ قال ابن سوريا: نعم، والذي ذكرتني
 به، لولا خشية أن يحرقني رب التوراة إن كذبت أو غيرت، ما
 اعترفت لك، ولكن أخبرني كيف هي في كتابك يا محمد؟
 قال: إذا شهد أربعة رهط عدول... وجب عليه الرجم. قال ابن
 سوريا: هكذا أنزل الله في التوراة على عيسى عليه السلام . فقال له
 النبي ﷺ : فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله؟ قال: كنا إذا
 زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فكثر
 الزنا في أشرافنا، حتى زنى ابن عم ملك لنا، فلم نرجمه، ثم
 زنى رجل آخر، فأراد الملك رجمه، فقال له قومه: لا حتى
 ترجم فلانا - يعنون ابن عمه - فقلنا: تعالوا نجتمع فلنصنع شيئا
 دون الرجم، يكون على الشريف والوضيع، فوضعنا الجلد

والتحميل، وهو أن يجلد أربعين جلدة، ثم يسود وجوههما، ثم
 يحملان على حمارين، ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار،
 ويطاف بهما. فجعلوا هذا مكان الرجم. فقالت اليهود لابن
 سوريا: ما أسرع ما أخبرته به، وما كنت لما أتينا عليك بأهل،
 ولكنك كنت غائبا، فكرهنا أن نغتابك! فقال: إنه أنشدني
 بالتوراة، ولولا ذلك لما أخبرته به. فأمر بهما النبي فرجما عند
 باب مسجده. وقال: أنا أول من أحيي أمرك إذ أماتوه فأنزل الله
 فيه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا
 مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾. فقام
 ابن سوريا، فوضع يديه على ركبتي رسول الله ﷺ، ثم قال:
 هذا مقام العائذ بالله وبك، أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن
 تعفو عنه، فأعرض النبي ﷺ عن ذلك. ثم سأله ابن سوريا عن
 نومه؟ فقال: تنام عيناى، ولا ينام قلبي. فقال: صدقت، صدق
 أمرك أمر نبي... فأسلم ابن سوريا عند ذلك، ثم سأله عدة
 أسئلة فأجابه رسول الله ﷺ، فقال له ابن سوريا: يا محمد من
 يأتيك من الملائكة قال: جبرائيل ﷺ. قال: صفه لي. فوصفه
 النبي ﷺ، فقال: أشهد أنه في التوراة كما قلت، وأنت رسول
 الله حقا، فلما أسلم ابن سوريا، وقعت فيه اليهود وشتموه،
 فلما أرادوا أن ينهضوا، تعلقت بنو قريضة ببني النضير، فقالوا:
 يا محمد إخواننا بنو النضير: أبونا واحد، وديننا واحد، ونبينا

واحد، إذا قتلوا منا قتيلا، لم يُقَدِّد (يفتروننا) وأعطونا ديتة سبعين وسقا من تمر، وإذا قتلنا منهم قتيلا، قتلوا القاتل، وأخذوا منا الضعف مائة وأربعين وسقا من تمر، وإن كان القاتل امرأة، قتلوا بها الرجل منا، وبالرجل منهم رجلين منا، وبالعبد الحر منا، وجراحاتنا على النصف من جراحاتهم، فاقض بيننا وبينهم فأَنْزَلَ اللهُ فِي الرَّجْمِ وَالْقَصَاصِ الْآيَاتِ^(١).



(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٣٣ - ٣٣٥.

ليلة القدر

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: هبط جبرائيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله ورسول الله صلى الله عليه وآله كئيب حزين، فقال: يا رسول الله، ما لي أراك كئيبا حزينا؟ فقال: إني رأيت الليلة رؤيا قال: وما الذي رأيت؟ قال: رأيت بني أمية يصعدون المنابر، وينزلون منها! قال: والذي بعثك بالحق نبيا، ما علمت بشيء من هذا. وصعد جبرائيل عليه السلام إلى السماء، ثم أهبطه الله جل ذكره بأي من القرآن، يعزيه بها، قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٧﴾﴾. وأنزل الله جل ذكره: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ للقوم فجعل الله عز وجل ليلة القدر لرسوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^(١).

وعن ابن عباس قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله رجل من بني

(١) - الكافي، الشيخ الكليني، ج ٨، ص ٢٢٢، ٢٢٣.

إسرائيل أنه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله تعالى ألف شهر فعجب من ذلك رسول الله ﷺ عجباً شديداً، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فقال: يا رب جعلت أمتي أقصر الناس أعماراً وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: ليلة القدر خير من ألف شهر الذي حمل الإسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك إلى يوم القيامة في كل رمضان، ثم أخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة^(١).



(١) - مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٧٨٩.

آية الولاية

بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله: ألا قال الرجل، قال رسول الله. قال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه، وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي. أنا جندب بن جنادة البديري أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا قصمتا. ورأيت بهاتين وإلا فعميتا. يقول: عليّ قائد البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخدول من خذله. أما إنني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء، وقال: اللهم أشهد أنني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً وكان عليّ راکعاً فأوماً بخنصره اليمنى إليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله ﷺ، فلما

فرغ النبي ﷺ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إن
أخي موسى ﷺ سألك فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي
أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عَقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ
أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَذُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِيْ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ ،
فأنزلت قرآنا ناطقاً ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا
فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ ، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم
فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي
عليّاً أشد به ظهري. قال أبو ذر: فو الله ما استتم رسول
الله ﷺ الكلمة حتى نزل جبرائيل ﷺ من عند الله، فقال يا
محمد إقرأ قال: وما أقرأ؟ قال إقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رٰكِعُونَ﴾ (١).



(١) - سورة المائدة، الآية: ٥٥. مجمع البيان، ج ٣ - ٤، ص ٣٢٤ - ٣٢٥،
كذلك راجع تفسير الميزان، ج ٦، ص ١٩.

(١٢٠)

مصائب أولياء الله

علي بن إبراهيم في تفسيره: قال: قال الصادق عليه السلام: لما أدخل رأس الحسين بن علي عليه السلام على يزيد لعنه الله، وأدخل عليه علي بن الحسين عليه السلام وبنات أمير المؤمنين عليها السلام وكان علي بن الحسين عليه السلام مقيدا مغلولا، فقال يزيد: يا علي بن الحسين! الحمد لله الذي قتل أباك، فقال علي بن الحسين عليه السلام: لعن الله من قتل أبي. قال: فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه، فقال علي ابن الحسين عليه السلام: فإذا قتلتني فبنات رسول الله من يردهن إلى منازلهن وليس لهن محرم غيري؟ فقال: أنت تردهن إلى منازلهن، ثم دعا بمبرد فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده. ثم قال: يا علي بن الحسين أتدري ما الذي أريد بذلك؟ قال: بلى، تريد أن لا يكون لأحد علي منة غيرك. فقال يزيد: هذا والله ما أردت (أفعله) ثم قال (يزيد): يا علي بن الحسين عليه السلام ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾. فقال علي بن الحسين عليه السلام: كلا، ما هذه فينا نزلت، إنما نزلت فينا: ﴿وَمَا

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ
أَنْ نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ
وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾^(١)
فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا، ولا نفرح بما آتانا منها^(٢).



(١) - سورة الحديد، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) - مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني، ج٤، ص ٣٥٦ - ٣٥٧،
وكذلك تفسير علي بن إبراهيم، ج٢، ص ٢٧٧.

أدب التخاطب مع الرسول ﷺ

وفد نفرٌ من تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في أشراف من بني تميم، منهم الأقرع بن حابس والزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم في وفد عظيم، فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن أخرج إلينا يا محمد، فأذى ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فقال: قد أذنت، فقام عطارد بن حاجب وقال: الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً، الذي له الفضل علينا والذي وهب علينا أموالاً عظيماً نفعل بها المعروف وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثر عدداً وعدة، فمن مثلنا في الناس، فمن فاخرنا فليعدّ مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكننا نستحي من الإكثار، ثم جلس، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه، فقام فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله، ثم كان

من فضله أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً وأصدقهم حديثاً وأفضلهم حسباً، فأنزل الله عليه كتاباً وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمة، أكرم الناس إحساباً وأحسنهم وجوهاً فكان أول الخلق إجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ، فنحن أنصار رسول الله ﷺ وردؤه، نقاتل الناس حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه في الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً، أقول هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم، ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد، وأجابه حسان بن ثابت، فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع: إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم وأسلموا^(١).

وفي ندائهم رسول الله وخطابهم إياه بالطريقة التي آذت رسول الله ﷺ نزلت الآية الكريمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا بَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ

(١) - تفسير البيان: ج ٩ - ١٠، ص ١٩٤ - ١٩٥.

أَصَوَاتِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُؤْتِيكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ قُلُوبِهِمَ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا
لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ (١) .



(١) - سورة الحجرات، الآيات: ٢ - ٥.

(١٤٢)

مثل الاستقامة

بعد معركة أحد نال المسلمون ما نالهم من القتل والجراح، والوهن والحزن، فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك شق عليه الأمر، فنزلت الآية الكريمة: ﴿إِنْ يَمَسُّكُمْ فَحٌّ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَحٌّ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) تسليّة للمؤمنين لما نالهم.

في ذلك اليوم أتى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وفيه ثمانون جراحة من طعنة وضربة ورمية، فجعل الرسول ﷺ يمسحها وهي تلتئم بإذن الله تعالى وأمير المؤمنين مثل المضغة على نطح، فلما رآه رسول الله ﷺ بكى فقال له: «إِنَّ رَجُلًا يَصِيبُهُ هَذَا فِي اللَّهِ لِحَقِّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ بِهِ وَيَفْعَلَ»، فقال مجيباً له وبكى: «بأبي أنت وأمي الحمد لله الذي لم يرني وليت

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

عنك ولا فررت، بأبي وأمي كيف حرمت الشهادة؟ قال: إنها من ورائك إن شاء الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان قد أرسل موعدة بيننا وبينكم حمراء الأسد، فقال: بأبي أنت وأمي والله لو حملت على أيدي الرجال ما تخلفت عنك^(١)، قال: فنزل القرآن: ﴿وَكَايْنٍ مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾^(٢).



(١) - الاختصاص، الشيخ المفيد، ص ١٥٨.
(٢) - سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(١٢٣)

المباهلة

كتب رسول الله ﷺ إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان (سورة النمل): بسم الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب من محمد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإنني أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، أما بعد فإنني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد - فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فقد آذنتكم بالحرب والسلام - فلما قرأ الأسقف الكتاب فضع به وذعر ذعراً شديداً فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له شرحبيل بن وداعة فدفع إليه كتاب النبي ﷺ فقرأه، فقال له الأسقف: ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يؤمن أن يكون هذا الرجل؟ ليس لي في النبوة رأي، لو كان رأى من أمر الدنيا أشرت عليك فيه، وجهدت لك، فبعث الأسقف إلى واحد بعد واحد من أهل نجران فكلهم قالوا مثل قول شرحبيل فاجتمع

رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل،
 وجبار بن فيض، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ، فلما وفدوا
 على رسول الله ﷺ وكان سيدهم الأهم والعقاب والسيد -
 وحضرت صلاتهم فأقبلوا يضربون الناقوس وصلوا - فقال
 أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله هذا في مسجدك - فقال:
 دعوهم، فلما فرغوا دنوا من رسول الله ﷺ فقالوا إلى ما
 تدعو؟ فقال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وأن
 عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث، قالوا: فمن أبوه؟
 فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فقال: قل لهم ما تقولون في
 آدم أكان عبدا مخلوقا يأكل ويشرب ويحدث...؟ فسألهم النبي
 فقالوا: نعم، قال: فمن أبوه؟ فبهتوا فأنزل الله سبحانه: ﴿إِنَّ
 مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ﴾ وقوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ
 تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ
 نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فقال رسول الله ﷺ
 فباهلوني فإن كنت صادقا أنزلت اللعنة عليكم وإن كنت كاذبا
 أنزلت علي، فقالوا: أنصفت فتواعدوا للمباهلة، فلما رجعوا
 إلى منازلهم، قال رؤسائهم السيد والعقاب والأهم: إن باهلنا
 بقومه باهلناه فإنه ليس نبيا، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم
 نباهله، فإنه لا يقدم إلى أهل بيته إلا وهو صادق، فلما أصبحوا

جاؤوا إلى رسول الله ﷺ غدا محتضنا بالحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى إنِّي لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، فقالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نترك على دينك ونثبت على ديننا، قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، فأبوا، قال: فإنِّي أنا جزكم، فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك^(١).



(١) - راجع تفسير الميزان: ج ٣، ص ٢٣٣ - ٢٣٤، ٢٢٨ - ٢٢٩.

(١٢٤)

حبلى الله تعالى

لما ثقل النبي الأكرم ﷺ في مرضه دعا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أدعوا لي عمي - يعني العباس رضي الله عنه - فدعي له، فحمله وعلي عليه السلام، حتى أخرجاه، فصلى بالناس وإنه لقاعد، ثم حمل فوضع على المنبر بعد ذلك، فاجتمع لذلك جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، حتى برزت العوائق من خدورها، فبين باك وصائح، ومسترجع، وواجم، والنبي ﷺ يخطب ساعة، ويسكت ساعة، فكان فيما ذكر من خطبته أن قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، ومن حضر في يومي هذا وفي ساعتى هذه من الإنس والجن، ليلغ شاهدكم غائبكم، ألا إنى قد خلفت فيكم كتاب الله فيه النور والهدى، والبيان لما فرض الله تبارك وتعالى من شيء، حجة الله عليكم وحجتى وحجة ولىي، وخلفت فيكم العلم الأكبر، علم الدين، ونور الهدى، وضيائه، وهو علي بن أبي طالب، ألا وهو حبلى الله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ
عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ (١).



(١) - تفسير البرهان: ج ١ - ص ٣٠٦، ج ٤، ص ٢٢٨ - ٢٣٤.

(١٢٥)

إكرام اليتيم

في كل مجتمع يوجد أيتام فقدوا آباءهم منذ صغرهم، ومن الواضح أن هؤلاء الصغار حرّموا من طعم العاطفة والمحبة الأبوية ولم يتذوقوها بالقدر الكافي، وهذا الأمر يشكل ضرراً على شخصية هؤلاء الصغار وقد يؤثر عليهم سلبياً، بحيث يوجد فيهم خصلاً سيئاً وخطيرة قد تنعكس على المجتمع فيما بعد، فإذا لم يقدم المجتمع على جبر هذا النقص في المحبة والحنان فإن اليتيم سينشأ ويكبر وفي شخصيته نقص واضح وهذا يجعله شخصاً غير سليم، قاسي القلب، وأحياناً قد ينحرف إلى ارتكاب الجرائم، لذلك فإن الإسلام المقدّس قد أولى هذه القضية اهتماماً بالغاً وجعل من أهم أولويات برنامجه التربوي رفع الحاجات المالية والعاطفية والأخلاقية والاجتماعية عند هذه الفئة من المجتمع، خصوصاً فيما يتعلق بالعاطفة والمحبة والمسائل الروحية والشعورية العاطفية، فأوصى بذلك وحث على القيام به وجعل له الجزاء العظيم.

لقد كان النبي ﷺ يحسن إلى اليتامى ويبرّهم ويوصي

بهم، وجاء في حديث عن ابن أبي أوفى قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ فأتاه غلام فقال: غلام يتيمة وأخت يتيمة وأم لي أرملة أطعمنا مما أطعمك الله، أعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال: ما أحسن ما قلت يا غلام، اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا، فجاء بواحد وعشرين ثمرة فقال: سبع لك وسبع لأختك وسبع لأمك، فقام إليه معاذ بن جبل فمسح رأسه وقال: جبر الله يتمك وجعلك خلفا من أبيك وكان من أبناء المهاجرين. فقال رسول الله ﷺ: رأيتك يا معاذ وما صنعت، قال رحمته، قال: لا يلي منكم يتيما فيحسن ولايته ويضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة، ومحى عنه بكل شعرة سيئة، ورفع له بكل شعرة درجة. وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: من مسح على رأس يتيمة كان له بكل شعرة تمر به على يده نور يوم القيامة. وقال ﷺ: أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله ﷻ، وأشار بالسبابة والوسطى^(١).

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَنْهَرْ﴾^(٢).

يقول أمير المؤمنين علي ﷺ في وصيته المعروفة: «الله في الأيتام، فلا تعبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم»^(٣).

(١) - تفسير نور الثقلين: ج ٥ - ص ٥٩٦ - ٥٩٧.

(٢) - سورة الضحى، الآية: ٩.

(٣) - نهج البلاغة: الرسالة: ٤٧.

(١٢٦)

الكوثر

أجمع المؤرخون والمفسرون على أن الرسول ﷺ قد أنجب من السيدة خديجة ؓ من الذكور القاسم وهو الولد الأكبر، ولد بعد البعثة النبوية لذلك كُتِيَ ﷺ بأبي القاسم، ثم ولد له ﷺ عبد الله ويقال له الطيب والطاهر، لكن التقدير والإرادة الإلهية شاءت أن لا يعيش للنبي ﷺ أحد من أبنائه الذكور.

ينقل عن ابن عباس: أَنَّ العاص بن وائل السهمي رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس في المسجد، فلَمَّا دخل العاص، قالوا: من الذي كنت تتحدث معه؟ قال ذلك الأبتَر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتَر، فسَمَّته قريش عند موت ابنه أبتَر وصنبوراً، فنزلت السورة المباركة: ﴿إِنَّا

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ
الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ (١).

والشيء العجيب والمعجز في هذه السورة المباركة أنها
تخبر عن الغيب، وهذا نوع من الاعجاز التاريخي، فلو نظرنا
في أيامنا هذه الى الواقع لرأينا أنّ أبناء رسول الله ﷺ في
العالم يتجاوز عددهم المائة مليون نسمة في حين أنّ لا خبر
عن نسل العاص بن وائل، فمن هو الأبتَر؟!.



(١) - سورة الكوثر، راجع تفسير مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ٨٣٦.

(١٢٧)

تذرع المشركين

بعدما سطع نور الإسلام وبدأ رسول الله ﷺ يبشر بالدعوة والدين الجديد «الإسلام»، وقف المشركون بوجه انتشار هذه الدعوة، وعملوا جهدهم لإطفاء نور الإسلام بأعمالهم وأفواههم الملوثة بشتى أنواع الموبقات، لكن الله تعالى متم نوره ولا رادّ لإرادته ولو كره المشركون.

من الأشياء الغريبة والعجيبة التي طلبوها من رسول الله ﷺ بعنوان المعجزات الخارقة أنهم قالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى ﷺ كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى ﷺ كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقه، فاتنا بآية من الآيات حتى نصدّقك، فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبّون أن آتيكم به، قالوا: اجعل لنا الصفا ذهباً، وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحقّ ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أو اتنا بالله والملائكة قبلاً، فقال رسول الله ﷺ: فإن فعلت بعض ما

تقولون أتصدّقونني، قالوا: نعم والله لئن فعلت لنتبّعنك أجمعين، وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا، فقام رسول الله ﷺ يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبرائيل عليه السلام، فقال له: إن شئت أصبح الصفا ذهباً ولكن إن لم يصدّقوا عذبتهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم، فقال رسول الله ﷺ: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١):

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٤ - ٥، ص ٥٤٠.

(٢) - سورة الأنعام، الآية: ١٠٩.

ألف روح فداء الحبيب

عندما اجتمع المشركون وصمموا على قتل النبي ﷺ ، هبط جبرائيل الأمين وأخبر الرسول ﷺ بما عزمت عليه قريش وبطونها، فأمر الرسول الأكرم ﷺ علياً عليه السلام أن ينام مكانه وقد أحاط المشركون بالدار يريدون قتل النبي ﷺ ، وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر، ونم على فراشي، فإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى، ففعل ذلك علي عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل عليه السلام: إنني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختر كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد فبات علي فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه فنزلا، فكان جبرائيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، وجبرائيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا علي؟ يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة. فأنزل الله على رسوله وهو متوجه إلى

المدينة في شأن علي عليه السلام : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^(١).

وقد هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلف أمير المؤمنين عليه السلام بمكة
لقضاء ديونه والودائع التي كانت عنده^(٢).

يقول الشاعر المعروف حسان بن ثابت في ليلة المبيت
وغيرها من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام :

مَنْ ذَا بَخَاتَمِهِ تَصَدَّقَ رَاكِعًا
وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ إِسْرَارًا
مَنْ كَانَ بَاتَ عَلَى فِرَاشِ مُحَمَّدٍ
وَمُحَمَّدٌ أُسْرَى يَوْمَ الْغَارَا
مَنْ كَانَ فِي الْقُرْآنِ سَمِّيَ مُؤْمِنًا
فِي تِسْعِ آيَاتٍ تُلِينُ غَزَارَا



(١) - سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

(٢) - الغدير: الشيخ المفيد، ج ٢، ص ٤٧، وتفسير نور الجنان، ج ٢، ص ١٥٠.

زهرة الدنيا الفانية

يقول أبو رافع وهو صحابي كان مع رسول الله ﷺ ثم تولى بيت المال في عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام: «نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني إلى يهودي، فقال: قل إن رسول الله يقول: بعني كذا وكذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب، فأتيته، فقلت له، فقال: والله لا أبعه ولا أسلفه إلا برهن، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: والله لو باعني أو أسلفني لقضيته وإنني لأمين في السماء وأمين في الأرض إذهب بدرعي الحديد إليه، فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا^(١). ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَاكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَخَفُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَرُحْرُوقًا وَإِن كُنَّا لَمَّا

(١) - تفسير مجمع البيان: ج ٧ - ٨، ص ٥٩.

مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ (١).

نعم لقد طلب رسول الله ﷺ قرضاً من رجل يهودي، ولا يجب أن نتعجب لهذا الأمر لأنّ الدنيا وما فيها لا تعدل عند الله تعالى جناح بعوضة، فقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو أنّ الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة (أو ذباب) ما سقى الكافر والفاجر منها شربة من ماء» (٢).



(١) - سورة طه، الآية: ١٣١ وسورة الزخرف، الآيات: ٣٣ - ٣٥.
(٢) - بحار الأنوار: ج ٦١، ص ٣٢، وأعيان الشيعة: ج ٤، ص ٢٣٣.

(١٣٠)

خطط المنافقين

من المعروف أن اليهود كانوا وما زالوا من أشد أعداء المسلمين والدين الإسلامي، وكانوا يجهدون في مواجهة الدين الجديد ويضعون لذلك الخطط والمكائد المشؤومة، ومن ذلك أنّهم يوجدون الشبهات ويبثونها بين المسلمين ليحرفونهم عن إيمانهم، أو يدخلون الشك إلى قلوبهم. من هذه الطروحات والمكائد أنّه تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخر النهار، وقولوا: أنّا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك، وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه، وقالوا: أنّهم أهل الكتاب وهم أعلم به منّا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم. ولما حوّلت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود، فقال كعب بن الأشرف لأصحابه: آمنوا بالله وبما أنزل على محمد ﷺ من أمر الكعبة وصلّوا إليها أول النهار وارجعوا

إلى قبلتكم آخره لعلهم يشكّون^(١). فنزلت الآية المباركة:
﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).



(١) - تفسير مجمع البيان: ج ١ - ٢، ص ٧٧٣.

(٢) - سورة آل عمران، الآية: ٧٢.

(١٣١)

شجاعة قنبر

كان الحجاج بن يوسف رجلاً فاجراً فاسقاً قاسي القلب عيّن والياً على الفرات من قبل عبد الملك بن مروان، وكان ينكل بأصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. أدخل عليه قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام يوماً فقال الحجاج: ما الذي كنت تلي عليّ بن أبي طالب؟ قال: كنت أوضيّه، فقال له: ما كان يقول إذا فرغ من وضوئه؟ فقال كان يتلو هذه الآية: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾^(١). فقال الحجاج، أظنه كان يتأولها علينا؟ قال: نعم. فقال الحجاج: ماذا تقول إذا أمرنا بقطع عنقك؟ قال: أنال سعادة الشهادة وتنال بلادة الشقاوة. فأمر الحجاج بقتله فاستشهد رحمه الله^(٢).

(١) - سورة الأنعام، الآيتان: ٤٤ - ٤٥.

(٢) - راجع تفسير نور الثقلين: ج ١ - ص ٧١٩.

(١٣٢)

خادمة السيدة الزهراء عليها السلام

كان المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية يعيشون في ضائقة معيشية لجهة وسائل العيش والمادة، فكانت حياتهم بسيطة جداً ومرهقة، حتى أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام والتي كلما ذكرها رسول الله ﷺ قال: (فداها أبوها) كانت تطحن على الرحى وتعجن وتخبز وتعدّ الطعام لزوجها وأولادها حتى أرهقت وتورمت يداها، حتى أن علياً عليه السلام قال: اشتكي مما أندى بالقرب، فقالت فاطمة عليها السلام: والله إني أشتكى يدي مما اطحن بالرحى. وكان عند النبي ﷺ أسارى فأمرها أن تطلب من النبي خادماً، فدخلت على النبي ﷺ وسلمت عليه ورجعت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: مالك؟ قالت: والله ما استطعت أن أكلّم رسول الله من هيئته، فانطلق علي معها إلى النبي ﷺ فقال لهما: جاءت بكما حاجة؟ فقال علي: مجاراتهما فقال ﷺ: لا ولكني أبيعهم وأنفق أثمانهم على أهل الصفة، ولما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله ﷺ

فقال: يا فاطمة والذي بعثني بالحق إنَّ في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب ولولا خشيتي خصلة لأعطيك ما سألت، يا فاطمة إنِّي لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية وإنِّي أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله ﷻ إذا طلب حقه منك، ثم علمها صلاة التسبيح، فقال أمير المؤمنين ﷺ: مضيت تريدين من رسول الله الدنيا فأعطانا الله ثواب الآخرة، فلما خرجت فاطمة ﷺ من عنده ﷺ أنزل الله سبحانه على رسوله ﷺ: ﴿وَأَمَّا تُعْرَضْنَ عَنْهُمْ أٰبَتِغَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة ﷺ ابتغاء، يعني طلب رحمة من ربك، يعني رزقا من ربك ترجوها: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ يعني قولا حسنا، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله ﷺ جارية إليها للخدمة وسماها فضة^(١).



(١) - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج ٣، ص ١٢٠.

(١٣٣)

القرآن الكريم محور الحديث

القرآن كتاب الله والمعجزة الخالدة ورسالة النبي المسدّد محمد ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، وهو دستور المسلمين والبشرية جمعاء على مدى العصور والأزمنة.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(١). لذلك يتوجب على المسلمين واتباع الدين الحق أن يستفيدوا من هذا الكتاب حق الاستفادة وذلك بالرجوع إلى العالمين به والراسخين في العلم وهم أهل البيت ﷺ ومدرستهم الخالدة، فمدرستهم هي الدليل الواضح والنور الذي يضيء السبل في مسير البشرية ومسيرة تعلم القرآن وفهم تعاليمه وآياته.

(١) - سورة النحل، الآية: ٨٩.

عن أبي الجارود قال: قال أبو جعفر عليه السلام إذ حدثكم بشيء فسلوني من كتاب الله، ثم قال: وفي حديثه أن الله نهى عن القيل والقال: وفساد المال وكثرة السؤال فقليل: يا بن رسول الله وأين هذا من كتاب الله؟ قال: إن الله يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وقال: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ وقال: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَن أَشْيَاءٍ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ يستفاد من هذه الأخبار بعد ضم بعضها إلى بعض أن السفه مقابل للرشد، كما ذكره الأصحاب^(١).



(١) - الحقائق النضرة، المحقق البحراني، ج ٢٠، ص ٣٦٥ - ٣٦٦،
وأصول الكافي، ج ١، ص ٦٠.

(١٣٤)

بشارة لشبيعة أهل البيت عليهم السلام

لكل إنسان في هذه الدنيا هدف يعمل لأجله ولأجل تحقيقه، والبشرية وحتى الوجود بشكل عام له هدف وغاية، والخلق إنما وجد لغاية وهدف أيضاً، فعندما يتعرف الإنسان حقيقة إلى هدفه الأصلي والنهائي يسعى لأجل تحقيقه والوصول إلى كماله.

فالمدارس المادية من جهتها تعد أن الهدف النهائي هو الرفاهية في الحياة والتمتع بكل ما فيها من نعم، بغض النظر عن الوسيلة لذلك، لكن المدرسة الإلهية (مدرسة الإسلام) تعد أن الهدف النهائي هو التوحيد الذي يمر عبر التجذر بالدين والقيم الحققة السامية، ونشر الأمن والأمان وتحكم قواعد العبودية وأصولها. وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، فالعبادة «عبادة الله الواحد» هي الهدف من الخلق.

(١) - سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

والعبادة هذه حاجة إنسانية والله غني عن عبادة البشر، لكن الإنسان يحتاجها في طي مسيره التكاملي للوصول إلى الكمال النفسي والجسدي. العبادة التي تربي الإنسان وتهذبه وتؤدبه وتربي روحه وباطنه، العبادة الخالية من أي نوع من الشرك (العلني والخفي)، العبادة التي تنفي كل ما عدا الله ﷻ، وتمحق كل قانون غير قانونه وحكم غير حكمه وتطرد حكم الشيطان ووساوسه وهوسه.

وهكذا عبادة لا يمكن أن تكون إلا في ظل حكومة صالحة وحكم ينفذ قوانين الله وأحكامه، وحكام مؤمنين صالحين، من هنا كان الوعد الإلهي الحتمي بتشكيل هكذا حكومة وإقامة مثل هذه الدولة، وهذا وعد للمؤمنين الصالحين. يقول المولى ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين ؑ أنه قرأ الآية، وقال: هم والله شيعتنا أهل البيت، يفعل ذلك بهم على يدي رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول

(١) - سورة النور، الآية: ٥٥.

الله ﷻ : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم (واحد) لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا.

وروي مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قال فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي وأهل بيته. فقوله: ﷺ هم والله شيعتنا يفعل ذلك بهم يعني تبديل الخوف بالأمن إنما يكون لهم^(١).

وجاء في ينابيع المودة لذوي القربى لحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي: وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾. عن اسحاق بن عبد الله عن الإمام زين العابدين ﷺ قال: هذه الآية نزلت في القائم المهدي (عج). وأيضا قال: قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ أي إن قيام قائمنا لحق: ﴿مَثَلُ مَا أَنكُم نَظِفُونَ﴾ وروي عن الباقر والصادق ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. قالوا: نزلت في القائم (عج) وأصحابه.

(١) - التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٣، ص ٤٤٤.

وفي تفسير العياشي: إن علي بن الحسين عليهما السلام قرأ آية: ﴿لَيْسَتْ خَلْفَنَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: والله هم محبينا أهل البيت، يفعل الله ذلك بهم على يد رجل منا، وهو مهدي هذه الأمة.

و قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يأتي رجل من عترتي، اسمه اسمي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً^(١).



(١) - ينابيع المودة، القندوزي، ج٣، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(١٢٥)

زهد الوصي عليه السلام

لما نزلت الآية الشريفة: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدَّهَبْتُمْ طِبَنَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمَعْتُمْ بِهَا قَالِيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾^(١). وفيها توبيخ للكفار لما فضلوا التمتع بالطيبات واللذات، أثر رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام الزهد والتقشف واجتناب الترفه والنعمة.

يقول عمر بن الخطاب استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة أم ابراهيم وأنه لمضطجع على خصفة وأنَّ بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً فسلمت عليه، ثم جلست فقلت: يا رسول الله أنت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحريير، فقال رسول الله ﷺ: أولئك قوم عجلت طبياتهم وهي وشيكة الانقطاع وإنما أخرت لنا طبياتنا.

(١) - سورة الاحقاف، الآية: ٢٠.

وقال علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلوات في بعض خطبه: والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها، ولقد قال لي قائل ألا تنبذها، فقلت: أعزب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى.

وروى محمد بن قيس عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: والله إن كان علي عليه السلام ليأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد وإن كان يشتري القميصين فيخيّر غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر، فإذا جاز أصابعه قطعه، وإذا جاز كعبه حذفه، ولقد ولي خمس سنين، ما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنه على لبنه، ولا أورث بيضاء ولا حمراء، وإن كان يطعم الناس على خبز البر واللحم وينصرف الى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخلّ، وما ورد عليه أمران كلاهما لله عز وجل فيه رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه ولقد اعتق ألف مملوك من كد يمينه تربت منه يدها وعرق فيه وجهه وما أطاق عمله أحد من الناس بعده وإن كان ليصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة وإن كان أقرب الناس شبيهاً به علي بن الحسين عليه السلام ما أطاق عمله أحد من الناس بعده، ثم أنه قد اشتهر في الرواية أنه عليه السلام لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده، قال له العلاء: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد لبس العباءة وتخلّى من الدنيا فقال عليه السلام: عليّ به، فلما جاء به، قال: يا عديّ نفسه لقد استهام بك الخبيث أما رحمت

أهلك وولدك أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها أنت أهون على الله من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك، قال: ويحك إنني لست كأنت إنَّ الله تعالى فرض على أئمة الحق أن يقدرُوا أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيَّع بالفقير فقره^(١).



(١) - راجع: مجمع البيان، ج ٩ - ١٠، ص ١٣٣ - ١٣٤.

عناد الفراعنة واستكبارهم

لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبى هو وقومه إلاّ الاقامة على الكفر، قال هامان لفرعون: إنّ الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه، فحبس كل من آمن به من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات، ثمّ بعث عليهم الطوفان فضرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا الى البرية وضربوا الخيام وامتلأت بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة، وأقام الماء على وجه ارضهم لا يقدرّون على أن يحرثوا، فقالوا لموسى: ادعوا لنا ربك أن يكشف عتّا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا، وقال هامان لفرعون: لئن خلّيت بني اسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك وانبت الله لهم في تلك السنة من الكلاّ والزرع والثمر ما أعشبت به بلادهم وأخصبت، فقالوا: ما كان هذا الماء إلاّ نعمة علينا وخصباً، فأنزل الله سبحانه عليهم في

السنة الثانية وفي الشهر الثاني الجراد فجردت زروعهم وأشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتآكل الأبواب والسياب والأمتعة وكانت لا تدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء، فعجّوا وضجّوا وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً، وقال: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد حتى أخلي عن بني اسرائيل، فدعا موسى ﷺ ربه فكشف عنه الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت، وقيل أن موسى ﷺ برز الى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط، ولم يدع هامان فرعون أن يخلي عن بني اسرائيل، فأنزل الله تعالى عليهم في السنة الثالثة وفي الشهر الثالث القمل والجراد وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له وهو شرّ ما يكون وأخبثه، فأتى على زروعهم كلها واجتثها من أصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل امر موسى أن يمشي الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس، فأتاه فضربه بعصاه فانتال عليهم قملاً فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضّه، وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملاً، فكان الرجل يخرج عشرة أجربة الى الرحي فلم يرد منها ثلاثة أقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل، وأخذت اشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنه

الجدري عليهم ومنعتهم من النوم والقرار، فصرخوا وصاحوا، فقال فرعون لموسى: ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بني اسرائيل، فدعا موسى ﷺ حتى ذهب القمل بعد ما قام عددهم سبعة أيام من السبت الى السبت، فنكثوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة وفي الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وأبنتهم فلا يكشف أحد ثوباً ولا إناءً ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها، وكان الرجل يجلس الى ذقنه الضفادع ويهم أن يتكلم فيشب الضفدع في فيه ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، فلقوا منها أذى شديداً، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ﷺ وقالوا: هذه المرة نتوب ولا نعود، فداع الله ان يذهب عنا الضفادع فإننا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم، ثم دعا ربّه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعاً من السبت الى السبت، ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم، فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله تعالى عليهم الدم، فسال ماء النيل عليهم دماً، فكان القبطي يراه دماً والإسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي كان دماً وكان القبطي يقول للإسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في فيّ فكان اذا صبه في فم القبطي تحول دماً، وإن فرعون اعتراه العطش

حتى أنه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فإذا مضغها يصير
 ماؤها في فيه دماً فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم
 ولا يشربون الا الدم، فأتوا موسى عليه السلام، فقالوا: ادع لنا ربك
 يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل، فلما
 دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل ^(١).

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ
 بِمُؤْمِنِينَ﴾ (١٢٢) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدمَ
 آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٢٣) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
 الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا
 الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٢٤) ﴿^(٢)﴾



(١) - تفسير مجمع البيان ج ٣، ٣ - ٤، ص ٧٢١ - ٧٢٢.

(٢) - سورة الأعراف، الآيات: ١٣٢ - ١٣٤.

(١٣٧)

الرسول ﷺ أحب الى المؤمن من نفسه

كان مولى رسول الله ﷺ ويُدعى ثوبان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم وقد تغيّر لونه ونحل جسمه، فقال ﷺ: يا ثوبان ما غيّر لونك، فقال: يا رسول الله ما بي من مرض ولا وجع، غير أنّي إذا لم أراك اشتقت اليك حتى ألقاك، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أنّي لا أراك هناك لأنّي عرفت أنّك ترفع مع النبيين وإنّي ان ادخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخل الجنة فذاك حتى لا أراك ابداً، ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده لا يؤمنن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين، وقيل ان اصحاب رسول الله ﷺ قالوا: ما ينبغي لنا ان نفارقك فإنّا لا نراك الا في الدنيا وأما في الآخرة فإنك ترفع فوقنا بفضلك فلا نراك فنزلت الآية الشريفة^(١): ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ

(١) - تفسير مجمع البيان، ج ٣ - ٤، ص ١١٠ - ١١١.

وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ
اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ (١).



(١) - سورة النساء، الآيتان: ٦٩ - ٧٠.

(١٢٨)

وارث علم الرسول ﷺ

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾^(١).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ جالساً في مسجده في رهط من أصحابه، فيهم أبو بكر، وأبو عبيدة، وعمر، وعثمان، وعبد الرحمان، ورجلان من قراء الصحابة... الى قوله حاكياً عن رسول الله ﷺ: وقد اوحى إليّ ربّي جلّ وتعالى أن اذكركم بأنعمه، وأنذركم بما اقتص عليكم من كتابه، وأملى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾ الآية، ثم قال: قولوا الآن قولكم: ما أول نعمة رغبكم الله وبلاكم بها؟ فخاض القوم جميعاً فذكروا نعم الله التي أنعم عليهم وأحسن عليهم بها من المعاش، والرياش، والذرية، والأزواج الى ساير ما بلاهم

(١) - سورة لقمان، الآية: ٢٠.

الله ﷻ من أنعمه الظاهرة، فلما أمسك القوم أقبل رسول
الله ﷺ على علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن، قل، فقد قال
أصحابك، فقال: وكيف لي بالقول - فذاك أبي وأمي - وإنما
هدانا الله بك! قال: ومع ذلك فهات، قل، ما أول نعمة بلاك
الله ﷻ وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني - جل ثناؤه - ولم أك
شيئاً مذكوراً، قال: صدقت. فما الثانية؟ قال: أن أحسن بي إذ
خلقني فجعلني حياً لا موتاً، قال: صدقت. فما الثالثة؟ قال:
أن أنشأني - فله الحمد - في أحسن صورة، وأعدل تركيب،
قال: صدقت. فما الرابعة؟ قال: أن جعلني متفكراً راغباً، لا
بلهة ساهياً، قال: صدقت. فما الخامسة؟ قال: أن جعل لي
شواعر أدرك ما ابتغيت بها، وجعل لي سراجاً منيراً، قال:
صدقت. فما السادسة؟ قال: أن هداني الله لدينه، ولم يضلني
عن سبيله، قال: صدقت. فما السابعة؟ قال: أن جعل لي مرداً
في حياة لا انقطاع لها، قال: صدقت. فما الثامنة؟ قال: أن
جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً، قال: صدقت. فما التاسعة؟
قال: أن سخر لي سماؤه وأرضه، وما فيهما وما بينهما من
خلقه، قال: صدقت. فما العاشرة؟ قال: أن جعلنا سبحانه
ذكرانا قواماً على حلائلنا لا إناثا، قال: صدقت. فما بعدها؟
قال: كثرت نعم الله يا - نبي الله - فطابت، ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا﴾، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: ليهنك الحكمة،

ليهنتك العلم - يا أبا الحسن - فأنت وارث علمي، والمبين
لأمتي ما اختلفت فيه من بعدي، من أحبك لدينك، وأخذ
بسبيلك فهو ممن هدي الى صراط مستقيم، ومن رغب عن
هداك، وأبغضك، وتخلاك لقي الله يوم القيامة لا خلاق له...
والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة^(١).



(١) - الرهان في تفسير القرآن، ج ١١، ص ١٣.

(١٣٩)

أحباء الله تعالى

قال أبو عبد الله عليه السلام: إنَّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها (أرواح) محمد عليه السلام وعلي والحسن والحسين عليهم السلام والأئمة صلوات الله عليهم، فعرضها على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسماوات والأرض والجبال: هؤلاء أحبائي وأوليائي وحججتي على خلقي وأئمة بريتي، ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم، لهم ولمن تولاهم خلقت جنتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقرّ بولايتهم ولم يدع منزلتهم مني ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جناتي، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي، وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جواري، وشفعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانة عند خلقي، فأياكم يحملها

بأثقالها ويدعيها لنفسه (دون خيرتي)؟ فأبت السماوات والأرض
والجبال ان يحملنها، وأشفقن منها من ادعاء منزلتها وتمني
محلها من عظمة ربهم، فلما اسكن الله ﷻ آدم ﷺ وزوجته
الجنة قال لهما: ﴿وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فنظر الى منزلة
محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة بعدهم فوجداهما
أشرف منازل اهل الجنة فقالا: ربنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله
جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما الى ساق العرش، فرفعا
رؤوسهما، فوجدا اسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين
والأئمة ﷺ مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الجبار جلّ
جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم اهل هذه المنزلة عليك وما أحبهم
إليك وما أشرفهم لديك؟ فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما
خلقتكما، هؤلاء خزنة علمي وأمنائي على سري، اياكما ان
تنظرا اليهم بعين الحسد وتمنيا منزلتهم عندي ومحلهم من
كرامتي، فتدخلان بذلك في نهبي وعصياني فتكونا من الظالمين
قالا: ربنا ومن الظالمون؟ قال: المدعون لمنزلتهم بغير حق،
قالا: ربنا فأرنا منزلة ظالمهم في نارك حتى نراها كما رأينا
منزلتهم في جنتك، فأمر الله تبارك وتعالى النار فأبرزت جميع
ما فيها من ألوان النكال والعذاب وقال ﷻ: مكان الظالمين
لهم المدعين لمنزلتهم في أسفل درك منها، كلّمأ أرادوا ان

يخرجوا منها اعيديوا فيها، وكلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليزوقوا العذاب، يا آدم ويا حواء لا تنظرا الى
أنواري وحججي بعين الحسد فأهبطكما عن جوارى، وأحل
بكما هواني ﴿فَوَسَّسَ لَّهُمَا الشَّيْطَانُ لِبَدَىٰ لُهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ
سَوَاءٍ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ
تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿١١﴾ فَذَلَّلْنَاهُمَا
بِعُرْوَةٍ ﴿١٢﴾ وحملهما على تمني منزلتهم فنظرا اليهم بعين الحسد
فخذلا حتى اكلا من شجرة الحنطة، فعاد مكان ما اكلا شعيرا
فأصل الحنطة كلُّها مما لم يأكلاه، وأصل الشعير كله مما عاد
مكان ما اكلاه، فلما اكلا من الشجرة طار الحلبي والحلل عن
أجسادهما وبقيا عريانين، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ قال: اهبطا من جوارى فلا يجاورني في جنتي
من يعصيني، فهبطا موكولين الى انفسهما في طلب المعاش،
فلما اراد الله ﷻ ان يتوب عليهما جاءهما جبرائيل ﷺ فقال
لهما: إنكما ان ظلمتما انفسكما بتمني منزلة من فضل عليكما
فجزاؤكما كما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله ﷻ
الى ارضه، فسلا ربكما بحق الأسماء التي رأيتموها على ساق
العرش حتى يتوب عليكما، فقالا: اللهم انا نسألك بحق

الأكرمين عليك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة
 الاتب علينا ورحمتنا، فتاب الله عليهما أنه هو التواب
 الرحيم، فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة
 ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من (أمتهم) فيأبون حملها
 ويشفقون من ادعائها، وحملها الانسان الذي قد عرف بأصل
 كل ظلم منه الى يوم القيامة وذلك في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا
 الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
 وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١).



(١) - بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٣٢٠.

(١٤٠)

دعاء المضطر^٣

الدعاء إضافة إلى أنه عبادة، فهو وسيلة لبناء النفس وتكاملها، ونافذة إلى النجاة، وصلة الوصل بين العبد وخالقه، فعندما تسد جميع الأبواب والطرق والأسباب الظاهرية بوجه الإنسان، فإنَّ الله تعالى هو الوحيد الذي يستطيع أن يفتحها ويقذف نور الأمل في قلب الإنسان، فإذا وصل الإنسان إلى مرحلة اليأس بحيث تقفل بوجهه الستائر الظاهرية، فإنَّ مسبب الأسباب يفتح له أبواب الرحمة الإلهية ويريه ساحل النجاة، خصوصاً إذا ما دعاه العبد بقلب طاهر ونية خالصة.

يقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١).

إذا وصلت البشرية إلى حالة الاضطراب، وجمعت لها شروط الاستجابة، فإنَّ المولى تعالى يجيبها، والاضطرار له

(١) - سورة النحل، الآية: ٦٢.

أبعاد وتجليات عديدة من أهمها: عندما تصل البشرية إلى حالة من السوء ينعدم فيها الأمن والعدل والمساواة الاجتماعية، ويعم الفساد والظلم والقهر، عند ذلك لا بد من منجى للبشرية يخلصها من كل الموبقات والفساد والظلم وينشر راية العدل والمساواة والمحبة بين جميع البشر، وهذا الأمر لا يتحقق إلا على يد وليّ من أولياء الله ذخره الله تعالى لمثل هذه الحالة.

ورد في كثير من الروايات والتفاسير أنّ الإمام المهدي (عج) هو المضطرّ في كتاب الله تعالى.

قال أبو جعفر عليه السلام. والله لكأنّي أنظر إلى القائم وقد استند ظهره إلى الحجر، ثمّ ينشد حقه إلى أن قال: هو والله المضطرّ في كتاب الله في قوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَأَهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ فيكون أول من يبايعه جبرائيل عليه السلام ثمّ الثلاثمائة والثلاثة عشر رجلاً^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «نزلت في القائم من آل محمد عليهم السلام، هو والله المضطرّ إذا صلّى في المقام ركعتين ودعا إلى الله عزّ وجل فأجابه ويكشف السوء ويجعله خليفة في الأرض»^(٢).

(١) - تفسير نور الثقلين: ج ١ - ص ١٣٩.

(٢) - كنز الدقائق: ج ٨ - ص ٥٨٩.

المفقودون في الوصال

إنَّ حركة العالم المادية تدور حول محور العلل والأسباب، فوجود كل شيء بحاجة إلى علة توجده، وإنجاز أي عمل له سبب يسببه، وحركة أي متحرك له محرك وبحساب ومقدار، فالنجوم والكواكب والشموس كلها تدور وتسبح في فلك محدد وبحركة مقدّرة متناسقة في نظام قد وضعه لها خالقها، بحيث لا تحيد عنه أبداً إلا بإذنه.

غير أنه وفي بعض الحالات تخرج بعض الأعمال والمسائل في العالم عن دائرة الحسابات البشرية ومقاييسها، وتنصاع لإرادة خالقها ومشيتته، فإذا أراد المولى تعالى شيئاً ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فتصبح نار النمرود برداً وسلاماً، ويخرج من الصخر الأصم ينابيع الماء، وينشق البحر بأمره، وترجع الشمس من مغيبها بإرادته ويولد عيسى النبي ﷺ من غير أب، وينشق القمر نصفين بإشارة من إصبع الرسول

الأكرم عليه السلام. ويولد طفل من أب عجوز بلغ ١١٢ سنة من عمره
وأم عاقر عجوز، وغير ذلك من الأمور والمعاجز.

إن ذلك على الله سبحانه هيّن يسير: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(١).

إن هذا الأمر ينطبق على الإمام المهدي (عج) وأصحابه،
بحيث تحصل بعض المسائل الخارجة عن حسابات البشر
وتصورهم. فالروايات كلها تشير إلى اجتماع أصحاب
الإمام (عج) وعددهم ٣١٣ نفرًا يأتون من جميع أقطار العالم في
ساعة واحدة، يجتمعون حوله ويبايعونه، فعندما تنقشع غيوم
الغيبية عن شمس الإمامة ويظهر قائم آل محمد عليه السلام يحضر له
الأصحاب من أماكن بعيدة وبمعجزة خارقة، أما كيف يحصل
ذلك؟

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام: «يجتمعون والله في ساعة
واحدة قرع كقرع الخريف».

وعن الرضا عليه السلام: «وذلك والله أن لو قام قائمنا يجمع الله
إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان» ^(٢) وهو قول أمير المؤمنين

(١) - سورة يس، الآية: ٨٢.

(٢) - معجم أحاديث المهدي: ج ٦ ص ٣٣.

علي عليه السلام: هم المفقودون عن فرشهم وذلك قول الله تعالى:
﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّبٌ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).



(١) - تفسير القمي: ج ٤٣ ص ٩. البقرة: ١٤٨.

(١٤٢)

جيش ٣١٣

هناك رموز خفية في بعض الأعداد تثير العجب عند البشر، من هذه الأعداد مثلاً: الأقاليم السبعة، أيام الأسبوع سبعة، سورة الحمد في أول القرآن وعدد آياتها سبعة، السماوات السبع، أبواب جهنم سبعة، الإنفاق في الإسلام وتشبيهه بالسنابل السبع، حلم عزيز مصر بسبع بقرات سمان وسبع عجاف، ثم البحار السبع في سورة لقمان وغيرها من الأمثلة.

من الأعداد العجيبة العدد: ٣١٣. والذي من دلالاته في عدد المحاربين والأنصار «النصر»، فكل جيش يكون عدد أفراده ٣١٣، أو فيه إشارة في هذا العدد سيكون النصر حليفه بمشيئة الله تعالى وعونه.

وفي التاريخ أمثلة عديدة على ذلك منها: «الحرب بين طالوت وجالوت، في هذه الحرب نصر الله تعالى طالوت

بجيش قوامه ٣١٣ نفرًا على جالوت الذي كان معه الآلاف المؤلفة من الرجال.

كذلك في معركة بدر الكبرى، بين الرسول الأكرم ﷺ ومن معه من المسلمين وكان عددهم ٣١٣ من جهة، وقريش والمشركين ومن كان يؤازرهم «عشرة آلاف مقاتل» من جهة أخرى، فنصر الله تعالى رسوله وأيده بهذا العدد القليل، فاستشهد من المسلمين ٢٢ نفرًا، أما الأعداء فقتل منهم سبعون وأُسِرَ سبعون وفرّ الباقون.

لقد كانت هذه المعركة درساً مهماً للمسلمين ولمن جاء بعدهم، وأن ميزان النصر في المعارك لا يقوم على الكثرة والقلة، وهذا ليس معياراً في الحروب بل المعيار الوقوف مع الحق، والإيمان بالقضية التي تقاتل من أجلها والثبات والصبر في المعركة. فكثرة أهل الباطل وامتلاكهم للثروات والأموال ليس له أثر في مقابل الحق وأهله وإن قل الناصر والمال.

يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِ الَّذِينَ اتَّخَفْتُمْ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(١).

(١) - سورة آل عمران، الآية: ١٣.

والعدد ٣١٣ ينطبق أيضاً على أنصار الإمام صاحب العصر والزمان «أرواحنا له الفداء» الذين يجتمعون معه في الكعبة ويبايعونه.

نعم إن محبي أهل البيت وشيعتهم والمستضعفين في الأرض ينتظرون بفارغ الصبر لكي يتشكل هذا الجيش، بحيث أشار المولى تعالى في سورة القصص الآية «٦٥» إلى حكم المستضعفين وإقامة دولتهم في الأرض حيث يقول: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٥﴾ وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦٦﴾﴾^(١).

نسأل الله العليّ القدير أن يتمّ نوره بظهور صاحب الأمر (عج) وتشكيل ذلك الجيش المؤيد ويجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهادين بين يديه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



(١) - سورة القصص، الآيتان: ٥ - ٦.

الفهرس

٥	المقدمة
٩	(١) - فراشة العشق
١٢	(٢) - محبة الله أكبر من محبة الأم
١٤	(٣) - حكمة لقمان
١٦	(٤) - نعمة الأخوة
١٨	(٥) - وحده المغيث
٢٠	(٦) - جاذبية القرآن
٢٣	(٧) - الإسلام طيب بلا دواء
٢٤	(٨) - نجاة المؤمن
٢٧	(٩) - دواء النجاة
٢٩	(١٠) - درس في الشهامة
٣٢	(١١) - حكم المقتول
٣٥	(١٢) - البناء الوبال
٣٧	(١٣) - تأثير القرآن
٣٩	(١٤) - قضاوة طفل
٤١	(١٥) - طلب العذاب
٤٣	(١٦) - جذور الحرمان
٤٥	(١٧) - المدد الغيبي
٤٧	(١٨) - آية الأمل
٤٩	(١٩) - شجرة الجنة

- ٥١ (٢٠) - الأيام الأولى
- ٥٣ (٢١) - العودة إلى الوطن
- ٥٥ (٢٢) - أسود الصباح
- ٥٧ (٢٣) - عدم المساومة
- ٥٩ (٢٤) - حرب إعلامية
- ٦١ (٢٥) - الغدير
- ٦٣ (٢٦) - امتنان قريش
- ٦٥ (٢٧) - صيحة اليقظة
- ٦٧ (٢٨) - حيل إبليس
- ٦٨ (٢٩) - أصحاب الليل
- ٧١ (٣٠) - أرباب أضعف من الذباب
- ٧٣ (٣١) - جزاء أهل البيت عليهم السلام
- ٧٥ (٣٢) - صلاة الجمعة أفضل من التجارة
- ٧٦ (٣٣) - ليس حياة محمد، بل نهج محمد عليه السلام
- ٧٩ (٣٤) - رجال مقاومون أوفياء
- ٨٢ (٣٥) - نار تحرق رزق الطامعين
- ٨٥ (٣٦) - حسد النساء
- ٨٦ (٣٧) - آداب الوصية
- ٨٩ (٣٨) - الإصلاح يبدأ بالأقربين
- ٩١ (٣٩) - الذنوب الصغيرة
- ٩٣ (٤٠) - الظهار
- ٩٦ (٤١) - اختيار الله تعالى
- ٩٨ (٤٢) - كلمات الجنة
- ١٠١ (٤٣) - من كل ألف واحد إلى الجنة
- ١٠٣ (٤٤) - غيرة دينية

- ١٠٨ (٤٥) - جزاء التخلف
- ١١٠ (٤٦) - آية نجاة الإنسان
- ١١٢ (٤٧) - الشعائر الإلهية
- ١١٤ (٤٨) - عاشق واحد بقلب واحد
- ١١٦ (٤٩) - أكبر الذنوب
- ١١٨ (٥٠) - خيانة الأصدقاء
- ١٢١ (٥١) - نجوى الشيطان
- ١٢٣ (٥٢) - آداب الجلوس
- ١٢٥ (٥٣) - امتحان الإيمان
- ١٢٧ (٥٤) - شق القمر
- ١٢٩ (٥٥) - شاهد على الوصيّة
- ١٣١ (٥٦) - فوز الشيعة
- ١٣٣ (٥٧) - جزاء ناكث العهد
- ١٣٧ (٥٨) - تجليات الإيثار
- ١٣٩ (٥٩) - المؤثرون الفائزون
- ١٤١ (٦٠) - الكفران بدل النعمة
- ١٤٢ (٦١) - حب امرأة
- ١٤٤ (٦٢) - الألقاب القبيحة
- ١٤٦ (٦٣) - تكبر اليهود
- ١٤٨ (٦٤) - عادة عابدي الأصنام
- ١٥٠ (٦٥) - إسلام الجن
- ١٥٢ (٦٦) - المحبة جزائي
- ١٥٤ (٦٧) - إضلال الناس بالغناء والموسيقى
- ١٥٦ (٦٨) - بشارة لمحبي أهل البيت عليهم السلام
- ١٥٨ (٦٩) - توبة شاب

- ١٦٣ (٧٠) - الثبات لأجل الهدف
- ١٦٥ (٧١) - أكل لحم الميت
- ١٦٧ (٧٢) - الاعتراف المنجي
- ١٧٠ (٧٣) - حارس النبي
- ١٧١ (٧٤) - إحياء العظام الرميم
- ١٧٢ (٧٥) - عاقبة رفقة الضال
- ١٧٤ (٧٦) - نقض بني قريظة للعهد
- ١٧٩ (٧٧) - أبواب الخير
- ١٨١ (٧٨) - تابوت بني إسرائيل
- ١٨٤ (٧٩) - بشارة للمستضعفين
- ١٨٦ (٨٠) - جزاء من يسأل عن حال قومه
- ١٨٩ (٨١) - داوود وجالوت
- ١٩٢ (٨٢) - غسيل الملائكة
- ١٩٤ (٨٣) - عفاف العين
- ١٩٦ (٨٤) - امتحان أهل البيت عليهم السلام
- ١٩٧ (٨٥) - ذريعة النفاق
- ٢٠٠ (٨٦) - إذن دخول الأب
- ٢٠٢ (٨٧) - جنة المطيعين لا الآباء
- ٢٠٤ (٨٨) - بيوت الوحي
- ٢٠٦ (٨٩) - البحث عن كيس الخيش في الصلاة
- ٢٠٨ (٩٠) - دعوة عامة
- ٢١٠ (٩١) - جزاء محبي علي عليه السلام
- ٢١٢ (٩٢) - المقيمون الصائمون
- ٢١٥ (٩٣) - حطب جهنم
- ٢١٧ (٩٤) - الصبي الحكيم

- ٢١٩ إخراج إبراهيم ﷺ - (٩٥)
- ٢٢٥ زيارة الأمير ﷺ - (٩٦)
- ٢٢٧ معاندة - (٩٧)
- ٢٢٩ موسى والخضر ﷺ - (٩٨)
- ٢٣٨ شمس الفضيلة - (٩٩)
- ٢٤١ صلح الحديبية - (١٠٠)
- ٢٤٣ مسجد ضرار - (١٠١)
- ٢٤٦ حديث المنزلة - (١٠٢)
- ٢٤٩ تغيير القبلة - (١٠٣)
- ٢٥٢ المصلحة الإلهية - (١٠٤)
- ٢٥٤ الحسرة - (١٠٥)
- ٢٥٦ شكر الرسول ﷺ - (١٠٦)
- ٢٥٨ عفو الله سبحانه وكرمه - (١٠٧)
- ٢٦٠ نسبة الرب ﷻ - (١٠٨)
- ٢٦٢ توبة أبي لبابة - (١٠٩)
- ٢٦٤ زينة المصلّي - (١١٠)
- ٢٦٦ اجتناب الرسول ﷺ القتل غيلة - (١١١)
- ٢٦٨ مجالسة الفقراء - (١١٢)
- ٢٧٠ المهاجرون إلى الحبشة - (١١٣)
- ٢٧٤ نفي الرهبانية - (١١٤)
- ٢٧٦ مقام إبراهيم - (١١٥)
- ٢٧٩ إتمام الحجّة - (١١٦)
- ٢٨٢ إجراء حدود الله تعالى - (١١٧)
- ٢٨٦ ليلة القدر - (١١٨)
- ٢٨٨ آية الولاية - (١١٩)

- ٢٩٠ مصائب أولياء الله (١٢٠) -
- ٢٩٢ أدب التخاطب مع الرسول ﷺ (١٢١) -
- ٢٩٥ مثل الاستقامة (١٢٢) -
- ٢٩٧ المباهلة (١٢٣) -
- ٣٠٠ حبل الله تعالى (١٢٤) -
- ٣٠٢ إكرام اليتيم (١٢٥) -
- ٣٠٤ الكوثر (١٢٦) -
- ٣٠٦ تذرع المشركين (١٢٧) -
- ٣٠٨ ألف روح فداء الحبيب (١٢٨) -
- ٣١٠ زهرة الدنيا الفانية (١٢٩) -
- ٣١٢ خطط المنافقين (١٣٠) -
- ٣١٤ شجاعة قنبر (١٣١) -
- ٣١٥ خادمة السيدة الزهراء ؑ (١٣٢) -
- ٣١٧ القرآن الكريم محور الحديث (١٣٣) -
- ٣١٩ بشارة لشيعه أهل البيت ؑ (١٣٤) -
- ٣٢٣ زهد الوصي ؑ (١٣٥) -
- ٣٢٦ عناد الفراعنة واستكبارهم (١٣٦) -
- ٣٣٠ الرسول ﷺ أحب الى المؤمن من نفسه (١٣٧) -
- ٣٣٢ وارث علم الرسول ﷺ (١٣٨) -
- ٣٣٥ أحباء الله تعالى (١٣٩) -
- ٣٣٩ دعاء المضطر (١٤٠) -
- ٣٤١ المفقودون في الوصال (١٤١) -
- ٣٤٤ جيش ٣١٣ (١٤٢) -
- ٣٤٧ الفهرس (١٤٣) -